جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

محاضرات في مقياس
الدولة العثمانية والمشرق العربي (1516-1914)

للسنة الثالثة تاريخ عام
السداسي الأول
وفق برنامج وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

إعداد الدكتور
الشافعي درويش

السنة الجامعية: 1438 هـ - 1439 هـ / 2017 م – 2018 م

السداسي: الخامس
عنوان الوحدة : التعليم الأساسية
المادة: الدولة العثمانية والمشرق العربي بين 1516-1914
محتوى المادة :

- ظهور الدولة العثمانية .
- أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العثماني .
- الفتح العثماني للمشرق العربي .

- طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي .
- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني .

مقدمة :

يعتبر مقياس الدولة العثمانية والمشرق العربي بين سنتي 1516و1914 من امتع الموضوعات التي يمكن للباحث الخوض فيها ،كما أن المادة التاريخية المتعلقة بهذا المقياس غزيرة ،واقصد بذلك ما كتبه المؤرخون المشارقة والأتراك دون تمييز .لكن هذا بدوره لا يقلل من قيمة الباحث في هذا المقياس أو الدارس له على حد سواء ،بقدر ما يزيد من صعوبة مواضيع المقياس من جهة ،والمسؤولية على الباحث من جهة أخرى .

ومقياس الدولة العثمانية والمشرق مخصص للسنة الثالثة تاريخ عام (ل م د) ،وهو مقسم إلى سداسيين ،ينتهي السداسي الأول (الخامس) حوالي القرن السابع عشر الميلادي ،أي خلال مرحلة الفتوحات العثمانية ومرحلة قوتها .ويشمل هذا المقياس عدة مواضيع كما هو موزع حسب البرنامج المسطر من قبل وزارة التعليم العالي .وهو كالتالي :

- ظهور الدولة العثمانية .
- أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العثماني .
- الفتح العثماني للمشرق العربي .
- طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي .

- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني .

وقد حاولت الإلمام بتلك المواضيع حتى تقد للطالب على شكل محاضرات سهلة ،يمكنه استيعابها أثناء المحاضرة ،ذلك أن الأحداث التي يتناولها المقياس غزيرة وكثيرة ،لا يمكن بطبيعة الحال الإلمام بها كلها في محاضرة واحدة أثناء الدرس المخصص له ساعة ونصف (01 سا و30 دقيقة) ،أو خلال الخمسة عشر (15) محاضرة ،والمخصص لها (45 سا) خلال السداسي الأول للسنة الثالثة تاريخ عموما .

وبطبيعة الحال ستكون هناك نقائص لهذا العمل ،مثل ما له من صعوبات ،وهذه سيتم تداركها أثناء المحاضرات الفعلية عند التدريس ،من خلال المناقشات والأسئلة ،والإشكالات ،التي تطرح بطبيعة الحال من طرف الطلبة أثناء الدرس .

المحاضرة الأولى : ظهور الدولة العثمانية :

الإشكالية :كيف ظهرت الدولة العثمانية ؟وماهي أهم مراحل تأسيسها ؟وما هو الدور الذي لعبته على الساحة الدولية ؟

1- تأسيس الإمبراطورية العثمانية :

تعتبر الإمبراطورية العثمانية من أعظم الإمبراطوريات في التاريخ ،وأكبرها وأطولها عمرا .إذ شملت معظم الأراضي ،التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية ،وأجزاء من شمالي البلقان ،والشاطئ الشمالي للبحر الأسود ،وأجزاء من قارة أسيا (البلاد العربية) ،وأجزاء كثيرة من أفريقيا .وقد استمرت الإمبراطورية العثمانية من سنة 1300م إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ؛وتحديدا إلى غاية سنة سقوطها في 1924م .

كان ظهور الدولة العثمانية منذ القرن الرابع عشر الميلادي حدثا بارزا ،على المستويين الإقليمي والعالمي .فقد كانت البلاد الإسلامية ،والعربية تعاني حالة من الضعف ،والانقسام، والتجزؤ ،إضافة إلى التهديد الخارجي المستمر .في هذه الظروف ظهرت إمارة تركية في منطقة الأناضول، سيكون لها دور كبير لاحقا .

اختلفت الروايات حول أصل الأتراك العثمانيين ،غير أن اشهرها ترى أنه يعود إلى يافث بن نوح وأصل آل عثمان من عشيرة ،أو قبيلة تركية تسمى هي قابي خان ،أو ما يعرف بقبيلة الغزية [1].وقد هاجرت هذه القبيلة من موطنها

---

[1] فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري :**أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ،إشراف الأستاذ الدكتور :يوسف علي رابع الثقفي

الأصلي في أواسط أسيا إلى منطقة الأناضول ،نتيجة لضغط المغول عليها ،واستوطنوا تحت سلطة السلاجقة ،وقد سنحت لهم الفرصة أيام زعيمهم عثمان بن أرطغرل ، بعد وفاة السلطان علاء الدين السلجوقي ،حيث أخذ يضم إليه ما قرب من المناطق ،ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت دولته [2].

وقد اعتنق الأمير عثمان الدين الإسلامي ،وتبعه الأتراك العثمانيون .ويعتقد أنهم كانوا على الوثنية ،وعلى كل حال فإن صلاتهم الوثيقة بدولة الروم السلاجقة في الأناضول –وهي دولة إسلامية- كانت عاملا هاما ساعدهم على اعتناق الدين الإسلامي بسرعة وسهولة .وأصبح الإسلام عقيدة رسمية للأتراك العثمانيين في عهد الأمير عثمان ،الذي كان متحمسا لعقيدته ،فأخضع حكمه لمشورة الفقهاء المسلمين ،وتميز حكمه بالعدل .فكان للإسلام أثر كبير في مستقبل العثمانيين ،فقد اجتمعت لديهم العاطفة الدينية المتأججة إلى جانب الروح العسكرية الطاغية ،فغدت سمة بارزة في الأتراك العثمانيين ،وقد استمدوا هذه الروح العسكرية من بيئتهم الأصلية في سهول أسيا الوسطى ، وعمل سلاطينهم على تعميقها في نفوسهم ،فلازمتهم طوال تاريخهم [1].

ففي بداية القرن الرابع عشر الميلادي ،حين تأسست الدولة العثمانية ،التي كانت مجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي ،تعتمد على فكرة الغزو (أو الجهاد حسب رأي كتاب آخرين) ضد الكفار المسيحيين ،وقد أخذت هذه الدولة الحدودية الصغيرة ،التي بدأت غير مهمة حينئذ في
التوسع بشكل تدريجي ،وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان ،وقد
أصبحت منذ سنة 1517م ،حين ضمت المنطقة العربية إليها ،أقوى دولة في العالم الإسلامي [2].

وفي سنة 1301م قام زعيم الأتراك المعروف بعثمان الغازي (1281-1324) من محاصرة العاصمة السابقة للبيزنطيين نيقيا ،وتمكن من هزيمتهم بالقرب من مدينتهم بافيون Baphaeon ،وقد جعل هذا الانتصار منه شخصية مشهورة ،وتوحدت القبائل التركية تحت لوائه ،وأصبحوا يعرفون بالعثمانيين ، وبدأت الإمارة العثمانية تتوطد بالفعل [3].وأعلن الأمير عثمان استقلاله عن دولة الروم السلاجقة في سنة 1307م بعد أن توفي أمير السلاجقة علاء الدين .ثم واصل ابنه

،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 1989 ،ص 8 .

[2] فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري :المرجع نفسه ،ص 9 .

[1] إسماعيل أحمد ياغي :**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ،مكتبة العبيكان ،الرياض المملكة العربية السعودية 1995 ،ص 12 .

[2] خليل اينالجيك :**تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ،ترجمة :محمد .م .الأرناؤوط ،دار المدار الإسلامي ،ط1 ،بنغازي ليبيا 2002 ،ص 9 .

[3] خليل اينالجيك :المصدر السابق ،ص 15 .

أورخان غازي (1324-1362) توسيع رقعة دولته ففتح بورصة في سنة 1326م ،والتي أصبحت عاصمة له بعد نيقيا [4].واصل السلطان أورخان فتوحاته على حساب البيزنطيين فتمكن من الوصول إلى المضايق ،وسيطر على سواحل الأسود ،وجزر بحر مرمرة ،وفي سنة 1354م سيطر العثمانيون على مدينة أنقرة ،وبذلك أصبح الطريق مفتوحا إلى الروملي [5].

تواصلت فتوحات العثمانيين في عهد السلاطين العثمانيين ما بعد أورخان ،أيام مراد الأول (1362-1389) ،وبايزيد (1389-1402) ،حيث فتحت الروملي ،والبلقان ،وتم توحيد الأناضول [1].

وقد استمرت فتوحات العثمانيين في أوربا طيلة القرنيين الرابع عشر والخامس عشر ،وكانت سنة 1453م حاسمة بالنسبة للعثمانيين بقيادة محمد الفاتح (1446-1481) ،فقد تمكنوا من فتح القسطنطينية عاصمة بيزنطة ،وقضوا على الإمبراطورية البيزنطية ،وورثوا تراثها وممتلكاتها [2].وتعد القسطنطينية من أهم المدن العالمية ،فقد أسسها الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول في سنة 330م[3].وقد كان لها موقع عالمي ،حتى قيل عنها :**لو كانت الدنيا مملكة واحدة ،لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها** [4].وبذلك تحققت نبوءة الرسول محمد –صلّى الله عليه وسلم- في 20 جمادي الأولى من سنة 857ه / 1453م[5].واتخذ محمد الفاتح القسطنطينية عاصمة لدولته ،وأطلق عليها اسما جديدا هو إسطنبول ومعناها دار الإسلام [6].

وبعد ذلك شن محمد الفاتح حروبا على بلاد الصرب والبوسنة والهرسك ،والمورة وألبانيا ،وجمهوريتي جنوة والبندقية ،ومملكة نابولي ،وحقق انتصارات

---

[4] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 14 .

[5] يلماز أوزتونا :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :عدنان محمود سلمان ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،استانبول تركيا 1988 ،ص ص 94-95 .

[1] يلماز أوزتونا :المصدر السابق ،ص 103 .

[2] دونالد كواترت : **الدولة العثمانية 1700-1922** ،ت عريب :أيمن الأرمنازي ،مكتبة العبيكان ،ط1 ،الرياض المملكة العربية السعودية 2004 ،ص 34 .

[3] للاطلاع على تاريخ تأسيس الإمبراطورية البيزنطية ،ينظر :محمود سعيد عمران :**معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى** ،دار المعرفة الجامعية ،بيروت 1986 .

[4] نقلا عن :إدريس الناصر رئيسي: **العلاقات العثمانية-الأوروبية في القرن السادس عشر** ،دار الهادي ،ط1 ،بيروت لبنان 2007 ،ص 24 .

[5] ياسر بن عبد العزيز محود قاري : **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية** ،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف :يوسف بن علي الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 2001 ،ص 37 .

[6] عبد العزيز محمد الشناوي: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط1 ،القاهرة 1980 ،ج1 ،ص 14 .

كبيرة ضد هذه الدول ،وأخفق السلطان محمد الفاتح في فتح بلغراد ،والسيطرة على جزيرة رودس[7].

أما عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) فقد تميز بالتطور الاقتصادي ،فتطورت المدن العثمانية كأدرنة وبورصة ،واستانبول ،إذ أن بايزيد الثاني لم يكن فاتحا كأبيه محمد الفاتح ،لكنه تمكن من ترسيخ الاستقرار في المناطق المفتوحة في الأناضول والبلقان ،كما شهدت الإمبراطورية العثمانية في عهده ،بداية المشاركة في السياسة الأوربية ،من خلال دورها في حوض البحر المتوسط [1].

من جهة أخرى عمد السلطان بايزيد على التدخل في شؤون أوربا عن طريق جمهورية البندقية ، التي كانت تمثل أهم الدول الأوربية لاسيما في التجارة البحرية ،فوقع معها معاهدة صلح في سنة 1482م منحت فيها امتيازات تجارية في الدولة العثمانية .لكن العلاقات توترت خلال السنوات اللاحقة ،بسبب التوسعات العثمانية في المتوسط على حساب المراكز التجارية البندقية ،فوقعت بينهما عدة حروب خلال سنوات 1491م ،1496م ،1499م ،التي انتهت بتوقيع معاهدة صلح في سنة 1502م .لقد حقق العثمانيون انتصارات كبيرة على البندقية ،فقد غنموا مواقع استراتيجية هيأت لهم مراكز لاستخدامها لإحراز المزيد من التقدم في شرق المتوسط وغربه[2] .

ومما سبق يمكن القول أن تواجد الدولة العثمانية اقتصر في هذه المرحلة على الأناضول والبلقان ،وقد ضمت الدولة العثمانية رعايا مسلمين ومسيحيين .أما خلال المرحلة اللاحقة فسيتغير توجه الفتوحات العثمانية إلى جهة الشرق الإسلامي مع بداية القرن السادس عشر .

---

[7] خليل اينالجيك :المصدر السابق ،ص ص 51-52 .

[1] خليل اينالجيك :المصدر السابق ،ص ص 51-53 .

[2] إدريس الناصر رئيسي :المرجع السابق ،ص ص 33-35 .

المحاضرة الثانية : ظهور الدولة العثمانية (تابع) :

الإشكالية: ماهي أهم التوسعات التي حققها العثمانيون خلال القرن 16م ؟وما هو الدور الذي لعبوه في حوض البحر المتوسط ؟

1- الفتوحات العثمانية خلال القرن 16م :

مع إطلالة القرن السادس عشر كانت السلطنة العثمانية ،قد وصلت إلى مفترق الطرق ،هل تضل على هذا الوضع ،وهذا القدر من الاتساع دولة بلقانية أناضولية ؟أو تستمر في التوسع الإقليمي في أوربا ؟ أو تتجه نحو المشرق الإسلامي ؟ .

كانت الإمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر ،تقف في مواجهة مجموعة من الدول القوية الفتية مثل :إنجلترا وإسبانيا ،والإمبراطورية المقدسة (النمسا-هنغاريا) ،أما الدويلات الإيطالية (جمهوريتي جنوة والبندقية) ،فقد ربطتها علاقات قوية مع الإمبراطورية العثمانية ،نظرا لموقعهما المتميز في حوض البحر المتوسط ،وبسبب نفوذهما السياسي والتجاري الكبير ؛فقد امتلكتا أساطيلا تجارية ربطت الهند بالجزيرة العربية وحوض المتوسط ،وأوربا الغربية .كما برزت في غضون ذلك إمبراطوريتان كبيرتان في المشرق هما :الدولة الصفوية في إيران ،وإمبراطورية المغول في شبه القارة الهندية .ومن جهة أخرى ظهرت إسبانيا والبرتغال كقوتان قامت بغزو العالم الجديد ونهب خيراته [1].

توجهت الفتوحات العثمانية خلال القرن السادس عشر إلى الشرق الإسلامي ؛أي إلى المنطقة العربية ، نتيجة للظروف الدولية السابقة الذكر ،وقد برز هذا التوجه في عهد السلطان سليم الأول (1512-1520) ،وأصبحت الدولة العثمانية دولة أسيوية وأوربية وأفريقية ،وبرز فيها الطابعان الإسلامي والعربي ،إذ ضمت لأول مرة عددا من الشعوب العربية ،وزادت نسبة الرعايا المسلمين، وتولت الدولة العثمانية زعامة العالم الإسلامي [2].وفي عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566) ،ستتوجه الدولة العثمانية البحار ،وستفتح جبهات بحرية في حوض البحر المتوسط ،والبحار
الشرقية :المحيط الهندي والخليج العربي .وستصبح دولة عالمية [3].

لقد تم تعيين سليم الأول بمساعي من الانكشارية[1] ،والذي قام بتعيين ابنه سليمان حاكما للقسطنطينية ،ثم توجه إلى أسيا لمحاربة إخوته وأبناء إخوته حتى

---

[1] دونالد كواترت : المصدر السابق ،ص 34 .

[2] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 20 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع نفسه .للاطلاع على توسعات الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر ،هناك خريطة توضح وضع الدولة العثمانية في أوج توسعاتها .ينظر :شوقي أبو خليل :**أطلس التاريخ العربي الإسلامي** ،دار الفكر ،ط12 ،دمشق سورية 2005 ،ص 115 .

لا يبقى له منازع على الحكم ،فتم له ذلك في سنة 1513 بعد أن هزم أخيه أحمد وقتله .وبعد أن استقرت الأوضاع للسلطان سليم ،عاد إلى مدينة أدرنة ،وعقد اتفاقيات مع عدة دول لتامين الجبهة الخارجية ،مع كل من البندقية ،وروسيا ، والمجر ،ومصر ،لأن مطامعه متجهة إلى بلاد الفرس ،التي بدأت تنمو وتظهر كقوة في عهد الشاه إسماعيل الشيعي[2].

لقد أحدث سليم الأول تغييرا جذريا في سياسة الدولة العثمانية الجهادية ،فقد توقف في عهد الزحف العثماني نحو الغرب الأوربي ،أو كاد يتوقف ،واتجهت أهداف السلطنة العثمانية اتجاها شرقيا نحو المشرق الإسلامي ،إثر ظهور الدولة الصفوية في إيران كقوة خطيرة مناوئة للعثمانيين .والتي يعمل حسابها بعد أن أخضعت كل الأقاليم ،التي كانت تابعة للإمبراطورية التيمورية ،وحاولت بسط المذهب الشيعي في العراق واسيا الصغرى ؛مما دفع بالدولة العثمانية إلى الخروج للمشرق العربي لحماية أسيا الصغرى بصفة خاصة ،والعالم السني بصفة عامة .كذلك تحرك السلطنة العثمانية لإنقاذ المقدسات الإسلامية من التحرك الصليبي الجديد من جانب الإسبان في المتوسط ،والبرتغاليين في المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر ؛خاصة بعد أن أصبحت هذه القوى المسيحية تحاصر العالم الإسلامي وتطوقه ،وتفرض عليه حصارا اقتصاديا [3].

فقد قام الشاه إسماعيل (1524-1500) بمساعدة الأمير أحمد ضد أخيه السلطان سليم الأول ، كما وفر الحماية لكل من فرّ من أولاده إليه ،وزيادة على ذلك أرسل وفدا إلى سلطان مصر يطلب منه التحالف لإيقاف سير الدولة العثمانية ،حتى لا تحارب كل واحد منهما على منفردا ،وتتوسع على حساب ممتلكاته [4].سنتطرق في المحاضرات اللاحقة لموضوع الفتح العثماني للمشرق العربي .

2- مرحلة ضعف الدولة العثمانية وتقهقرها :

بدأت مرحلة انحدار الدولة العثمانية ،وتراجع قوتها مع نهاية القرن السادس عشر ،منذ هزيمتهم في معركة ليبانت في سنة 1571م ،كما خاض العثمانيون عدة حروب خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1578م و1606م ،مع الصفويين في الشرق ،وآل هبسبورغ في أوربا الوسطى ،إضافة إلى حروبهم المتكررة مع الروس ،فقد

---

(1) للاطلاع على مختلف المراحل التي تم بها تكوين الجيش الانكشاري في الدولة العثمانية ،والتطورات التي عرفها خلال تاريخ وجوده كمؤسسة عسكرية ،والدور الذي لعبه الجيش الانكشاري في سياسة الإمبراطورية العثمانية على الصعيدين الداخلي والخارجي ،ومختلف الإنجازات التي حققها هذا الجيش خلال فترة وجوده .ينظر :إيرينا بتروسيان :**الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** ،تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ،ومعهد الدراسات الشرقية المجمع العلمي الروسي (فرع سان بطرسبرغ) ،دبي 2006 .

(2) محمد فريد بك المحامي : **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار النفائس ،ط1 ،بيروت 1981 ،ص 188 .

(3) إدريس الناصر رئيسي :المرجع السابق ،ص 37 .

(4) محمد فريد بك المحامي : المصدر السابق ،ص 188 .

فقدت الدولة العثمانية الكثير من الأراضي في أوربا بسبب إنهاكها من طرف الصفويين في الشرق ،وحروبها مع الأوربيين في الغرب[1] .

ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت الدولة العثمانية [2]،قد بدأت في الانحدار والتقهقر أمام هجمات الدول الغربية المستعمرة ،وبدأت الهزائم والخسائر تتوالى عليها من كل جانب ،حتى بلغ بها الوهن والضعف مبلغا شديدا ؛ولاسيما في مجالات العلم والمعرفة ،حيث تعثرت الحياة الثقافية ؛فلم تعرف إضافات جديدة في ميادين الفكر والثقافة .في حين أن أوربا أثبتت تفوقها في مختلف الميادين الفكرية ،والصناعية والزراعية ،وكانت ترتقي يوما بعد يوم في الفنون الحربية ،والنظم الإدارية ،مما جعل الدولة العثمانية في ذلك الوقت ؛تفكر في إيجاد طريقة ناجحة ،تتمكن بها من اللحاق بالدول الغربية في الرقي والتقدم ؛كي تستطيع الوقوف في وجهها وصد هجماتها المتوالية ،فرأت أن الطريق السليم ، هو العمل على إصلاح الدولة العثمانية في مرافقها الداخلية [3].

ومما سبق يمكن القول أنه رغم المحاولات الإصلاحية المتكررة من طرف السلاطين العثمانيين، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ،ولم تستطع الدولة العثمانية استعادة قوتها ،وهو ما أثر سلبا على ولاياتها الداخلية في المشرق العربي ،فانتشرت الحركات الانفصالية والثورات الداخلية .وهذا ما سنتطرق له في محاضراتنا في السداسي الثاني .

المحاضرة الثالثة : أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العثماني:

الإشكالية :كيف كان الوضع السياسي السائد في منطقة المشرق العربي قبيل الفتح العثماني ؟وما أثره على المنطقة ؟.

1- الوضع السياسي العام للبلاد العربية قبل الفتح العثماني:

أصاب البلاد العربية الركود والتدهور ،إثر سقوط مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية على أيدي المغول في سنة 1258م ،وقد أصاب الانهيار الأنظمة السياسية ،والاجتماعية ،والاقتصادية بسبب الهجمة المغولية في المشرق ،والصليبية (الإسبان والبرتغال) في المغرب والأندلس .وفقد المشرق العربي

---

[1] خليل اينالجيك :المصدر السابق ،ص 69-70 .

[2] لمعرفة كل المصطلحات المتعلقة بالتاريخ العثماني ،ينظر :سهيل صابان :**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،الرياض 1421ه / 2000 .

[3] سليمان بن صالح الخراشي : **كيف سقطت الدولة العثمانية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،المملكة العربية السعودية 1420ه ،ص 13 .

وحدته السياسية ،واضطربت أحواله السياسية ،والاقتصادية ،والاجتماعية ،وبرزت وحدات سياسية ضعيفة فيه [1].

1.1- العراق :

احتل هولاكو العراق المغولي مدينة بغداد في سنة 656ه/1258م ،وسقطت الدولة العباسية ، وحكمت أسرة هولاكو العراق حولي الثمانين سنة ،ثم حكمت أسرة الجلائريون المغولية العراق حوالي القرن ،وفي سنة 1401م تعرض العراق لحملة مغولية جديدة قادها تيمورلنك ،وبعد ذلك وقع صراع بين المغول والتركمان للسيطرة على العراق ،إلى أن تمكنت أسرة تركمانية تدعى القره قوينلو (ذو الخراف السود) من السيطرة على البلاد لمدة ستين سنة ،ثم انتزعت منها حكم العراق أسرة تركمانية أخرى هي ألاق قوينلو (ذو الخراف البيض) حولي القرن ،وكان اشهر حكامها أوزون حسن الذي ملك ايران والعراق ،وبوفاته ضعفت الدولة إلى أن تمكن الصفويون من السيطرة على العراق .فقد تطلع الصفويون الشيعة في إيران للسيطرة على العراق ،لاحتوائها على العتبات الشيعية المقدسة ؛ كربلاء والنجف ،فاحتله الشاه إسماعيل الصفوي في سنة 1508م[2].

1.2- بلاد الشام ومصر :

أما في بلاد الشام فقد تمكن المماليك من هزيمة المغول في سنة 658ه/1260م في معركة عين جالوت ،كما كان لهم الفضل في تطهير بلاد الشام من بقايا الصليبيين في سنة 1291م ،ولعل من أبرز ما قام بع المماليك فضلا عما تقدم ؛إعادتهم الخلافة الإسلامية العباسية ،وترسيخ المذهب السني في بلاد الشام ومصر ،وإقامة العديد من المعالم الحضارية في البلاد العربية .إلا أنهم ركزوا على جمع السلطة بأيديهم ،مما جعلهم يسيطرون على المراكز السياسية ،والعسكرية ،والإدارية في البلاد ،وكان السلطان يوزع الولايات بين اتباعه ،وقوده ،مما جعل البلاد تتعرض للعديد من المؤامرات .وهذا ما أدى إلى تقوقعهم وبالتالي ضعفهم ،والذي برز واضحا في عهد السلطان قايتباي وقنصوه الغوري ،ونهاية حكمهم على يد العثمانيين في سنة 1517م[1].

2- جذور الصراع العثماني المملوكي (1485-1491) :

كانت العلاقات العثمانية المملوكية قد توترت في عهد السلطان محمد الثاني ،فقد انخرطت الدولتان في صراع على النفوذ بين صفوف القبائل التركمانية التي تفصل بينهما .وقد أدت حوادث مختلفة إلى تأزم الوضع بين السلطان المملوكي

---

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : **تاريخ العرب الحديث** ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن 1989 ،ص 9.

[2] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : المرجع نفسه ،ص ص 9،11 .

[1] جميل بيضون وآخرون :**تاريخ العرب الحديث** ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،ط1 ،إربد ،الأردن 1991 ،ص 12 .

قايتباي تجاه نجم ،والسلطان العثماني بايزيد الثاني (1481-1512) [2].بسبب تأييد السلطان المملوكي للأمير جم شقيق السلطان بايزيد الثاني ،عندما وقع الصراع بينهما حول العرش ،وفرار جم إلى المماليك ،لكنه رغم ذلك هزم أمام أخيه [3].

ويعود أصل الصراع إلى الحماية التي قدمها العثمانيون إلى أمير ذو القادر علاء الدولة ،بعد تهديد المماليك له ،لكن علاء الدولة وحليفه الوالي العثماني يعقوب باشا والي قيصرية ؛تعرضوا لهزيمة على أيدي الجيش المملوكي وحلفائه التركمانيين في سبتمبر من سنة 1483م ،فأرسل العثمانيون جيشا إلى التركمانيين بقيادة قره جوز باشا ،الذي استولى على عدة أماكن من بينها أضنه وتارس في ماي من سنة 1485م .ولكن بعد وصول الجيش المملوكي تعرض الجيش العثماني للهزيمة ،مما اضطر العثمانيين إلى الانسحاب من أضنه وتارس في ربيع سنة 1486م [4].

لن يتخلى المماليك عن صراعهم مع العثمانيين ،ويحاولون الانفتاح على المسيحيين من اجل التوصل إلى الإفراج عن الأمير جيم شقيق السلطان بايزيد ،الذي كان قد لجأ إلى البابا الكسندر السادس في روما ،من أجل استخدمه للضغط على العثمانيين ،والذي كان بدوره يعد حملة لاسترجاع العرش من أخيه السلطان بايزيد الثاني .لكن العثمانيين تعرضوا لهزيمة جديدة على يد المماليك في 7 أوت من سنة 1488م ،في سهل أغاتشايري بين مدينتي أضنة وتاريس ،وفي محاولة أخرى للعثمانيين من أجل الحفاظ على أطماعهم في المنطقة ،أيّد العثمانيون شاه بوداك من إمارة آل ذو القادر ،في محاولته الرامية إلى انتزاع السلطة من الأمير علاء الدولة ،الذي انتقل إلى صف المماليك المنتصرين ، وسوف تنتهي هذه المحاولة بهزيمة أخرى .وفي سنة 1490م يحاصر المماليك مدينة قيصرية ،وينشون الخراب في ربوع كرمان ،ويستعد السلطان بايزيد الثاني للخروج بنفسه في حملة ضدهم ،لكن الغلبة كانت دائما لصالح المماليك ،لكن تكاليف الحرب كانت باهظة بالنسبة للمماليك فقد انهكت الحرب سوريا ،واضطرت الدولتان إلى عقد الصلح في ماي من سنة 1491م ،تخلى بموجبه العثمانيون عن أضنة وتارس[1].

ومما سبق يمكن القول أن منطقة المشرق العربي تعرضت إلى الكثير من الهجمات الخارجية ، سواء الحملات المغولية المتتالية ،أو الحملات التركمانية ،أو الحملات الصليبية المتواصلة ،والتي قضت على الوحدة السياسية للمنطقة

---

[2] روبير منتران :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :بشير السباعي ،دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 ،ص157 .

[3] محمد السيد الدغيم :**أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية** ،في **الحضارة الإسلامية وعالم البحار**،ندوة عقدها الاتحاد في القاهرة 6-8 نوفمبر 1993 ،منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 ،ص ص 379-439 .

[4] روبير منتران :المصدر السابق ،ص 157 .

[1] روبير منتران :المصدر السابق ،ص ص 157-158 .

،وقسمتها إلى مناطق للنفوذ بين تلك القوى الغازية ،إلا أن توحدت مجددا مع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق المماليك ،الذين أعادوا الخلافة العباسية ،وأوقفوا التهديدات الخارجية للمنطقة ،إلا أن ذلك لم يدم طويلا فقد ضعفت دولتهم بحلول القرن الخامس عشر الميلادي ،بسبب عدة عوامل وظروف ذكرت في هذه المحاضرة .أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فإن الأوضاع لم تكن أحسن من السياسية .

المحاضرة الرابعة :أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العثماني(تابع):

الإشكالية : كيف كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المشرق العربي قبيل الفتح العثماني ؟وما علاقتها بضم العثمانيين للمنطقة ؟.

1- الوضع الاقتصادي :

أما من الناحية الاقتصادية فلم يكن الوضع أحسن حالا من الناحية السياسية ،فقد انعكست الأوضاع السياسية المضطربة على اقتصاد المشرق العربي ؛فقد تدهورت الزراعة ،وقلّ الإنتاج ،وساءت أحوال الفلاحين لانعدام الأمن ،وانتشار الأمراض بين الفلاحين ،واعتماد الزراعة على الأمطار المتذبذبة ،كما أن الحكام اهتموا بالملكية العقارية الزراعية ؛حتى يضمنوا محصولا أساسيا ؛يمكنهم الاعتماد عليه في تموين الجنود ،مما أصبح النظام الاقتصادي ؛نظاما إقطاعيا في شكله ،وفي طبيعة تكوينه ،وإن اختلف عن النظام الإقطاعي ،الذي ساد أوربا [1].

أما الصناعة فقد كانت يدوية خفيفة ،تعتمد على الأسواق المحلية ،وقد اشتهرت المنسوجات الحريرية والكتانية ،والقطنية والصوفية ،وصناعة استخراج الزيوت النباتية ،وصناعة الأواني النحاسية والحلي بالإضافة إلى صناعة الورق ،والسكر ،وطحن القمح وغيرها .وكان لكل حرفة شيخها ،يشرف على أعضائها ،ويدافع

---

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : المرجع السابق ،ص ص 12،13.

عن مصالحهم ،ويساعد على إتقان الصناعة والمحافظة على جودتها ،وكانت الصنعة تنتقل من الأب إلى الابن ،ولهذا بقيت الصناعة محصورة ببعض الأسر ،كما أصاب بعض الصناعات الضعف وقلة الإنتاج [2].

أما التجارة فقد كانت مزدهرة أيام المماليك ،واستمرت حتى نهاية القرن الخامس عشر ،وقد قام المماليك بالوساطة التجارية بين الشرق وأوربا ،بنوا الفنادق ،والمؤسسات التجارية لتوفير الراحة الكافية للتجار ،وقد كانت موارد الشرق الأقصى (التوابل والحرير) ،تمر إلى أوربا عبر ثلاث طرق وهي :

- الطريق البري من الصين إلى بيزنطة عبر العراق والشام ،وكانت تسمى طريق الحرير ،ويشرف العرب على نقل هذه التجارة .
- الطريق البحري الذي يمر عبر المحيط الهندي ،فالخليج العربي ،ثم البصرة ،وبغداد ،ودمشق ،وحلب إلى البحر المتوسط .
- الطريق البحري من المحيط الهندي ،فالبحر الأحمر فالمتوسط أو السويس ،فالقاهرة فالإسكندرية [1].

وبحلول القرن الخامس عشر بدأت دولة المماليك تفقد مكانتها الاقتصادية والتجارية ، فقد ضاق تجار أوربا ذرعا بالمماليك ،الذين كانوا يسيطرون على طريق البحر الأحمر ؛بفرض الضرائب المرتفعة على واردات البلاد الأسيوية ،وخاصة التوابل التي كانت تستورد من بلدان الشرق الأقصى .مما دفع التجار الأوربيين إلى البحث عن طريق جديدة ،فكان أن نجح بارثلميو دياز في كشف طريق رأس الرجاء الصالح في سنة 1487م ،وتلاه فاسكو دي غاما في الوصول إلى الهند عن طريق الطواف حول إفريقيا في سنة 1498م ،فحقق البرتغاليون نصرا تجاريا جديدا ؛بتوفير البهارات للأوربيين بثمن يبلغ ربع الثمن الذي كانت تباع فيه في مصر .كما تطلع البرتغاليون بعد اكتشافاتهم إلى السيطرة على الخليج العربي ،والبحر الأحمر ،فاحتلوا جزيرة سوقطرة ومسقط وصحار ،وأقاموا لهم مراكز في الكويت والبصرة ،فضلا عن احتلال مدينة جدّة في سنة 919ه/1513م [2].

أما جنوب العراق فقد سيطر عليه الصفويون الشيعة في سنة 1508م ؛نظرا لوفرة ثرواته الزراعية، وموقعه التجاري الهام على الخليج العربي[3].

لقد انعكس التمزق السياسي والتدهور الزراعي والصناعي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ،على التجارة ،مما أدى إلى تأخرها ،فبعد أن كانت الطرق التجارية تمر بمصر وبلاد الشام ؛حاملة معها المنتوجات المحلية المصرية بالإضافة إلى التوابل والحرير المستور ،قام التجار الأوربيين (البرتغاليين)

---

[2] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : المرجع نفسه ،ص 13.

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : المرجع السابق ،ص 13.

[2] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص ص 12-13 .

[3] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : المرجع السابق ،ص 11.

،بتغيير طرق التجارة إلى الهند بعد اكتشافهم راس الرجاء الصالح ،مما أوقع كارثة بالتجارة العربية في مصر وبلاد الشام ،وقد بدا ذلك واضحا عندما انهزم الأسطول المملوكي أمام الأسطول البرتغالي في مياه الهند في معركة ديو البحرية في سنة 1509م [4].

وهكذا تأخرت التجارة ،فعم الفقر ،وتردت أحوال الزراعة ،والصناعة ،مما أدى إلى تمرد الشعب على السلطة ؛فهاجم الطواحين والمخابز ،للاستيلاء على الطحين والخبز [5].لقد تحولت التجارة من موانئ عدن وجدة ،وسواكن والسويس ،إلى طريق رأس الرجاء الصالح ،وانقطع طريق التجارة بين مصر والهند ،فكان لذلك أثر عظيم في سوء حالة البلاد الاقتصادية والسياسية [1].

2- الوضع الاجتماعي :

اضطربت الحياة الاجتماعية في العراق في أواخر العصر العباسي ،فاهمل الخلفاء شؤون الدولة ، وغرقوا في الملذات ومجالس اللهو والرقص والغناء ،واشتد الصراع بين السنة والشيعة ،وانحطت الأخلاق وتدهورت الحياة الثقافية ، وقل الغذاء وانتشرت الأمراض .أما في مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية ، فقد عاش المماليك في عزلة عن الشعب ،وكونوا طبقة استأثرت بالمناصب الإدارية والعسكرية ،فقد كونوا مجتمعا إقطاعيا ،وابتعدوا عن الاختلاط بالأهالي ،الذين حرموا من المشاركة في إدارة البلاد . فساءت أحوال الشعب الصحية والاجتماعية [2].

لقد بدت ظواهر التأخر الاجتماعي واضحة ؛بانتشار الفقر والجوع عندما تحولت الطرق التجارية عن المشرق ،مما أثر على الحياة الاجتماعية والثقافية ،على الرغم من ذلك نلمس التضامن ،والتعاضد في المجتمع عند ظهور الغزو الخارجي ،فنرى ارتفاع شعارات الجهاد لمواجهة هذا الغزو[3].

ومما سبق يمكن القول أن تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ؛كان حتمية للتمزق السياسي ،ولتدهور الوضعية السياسية ،ولحالة الانقسام الذي كانت تعيشه منطقة المشرق العربي .

---

[4] رأفت غنيمي الشيخ :**التاريخ المعاصر للامة العربية الإسلامية 1412-1992** ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1992 ،ص 37 .

[5] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص ص 14-15 .

[1] محمد رفعت بك :**التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط** ،ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي ،مصر 1949 ،ص 43 .

[2] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب : المرجع السابق ،ص 14.

[3] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص 15 .

المحاضرة الخامسة : الفتح العثماني للمشرق العربي :

الإشكالية : ماهي الظروف والعوامل التي أدت بالعثمانيين إلى التوجه إلى المشرق الإسلامي؟

1- التهديد الصفوي الشيعي للعثمانيين :

قامت الأسرة الصفوية [1]في إيران ،وتزعم الشاه إسماعيل (1500-1524) حركة قومية دينية ، عملت على توحيد إيران ونشر المذهب الشيعي في البلاد المجاورة لها ،فغزا العراق في سنة 1508م ؛ لأنه يضم مقابر أئمة الشيعة في النجف وكربلاء ،وأخذ الشاه إسماعيل على إثارة العثمانيين بشتى الطرق ، فأصبحت إيران ملجأ الفارين من وجه السلاطين العثمانيين .كما أخذ الصفويون يبثون دعوتهم الشيعية في الأناضول معتمدين على الأقليات الشيعية ،المنتشرة هناك للقيام بثورة ضد الحكم العثماني السني .ثار الشيعة ضد الحكم العثماني في السنة الأخيرة لحكم بايزيد الثاني ،ولكن السلطان سليم أخمد الفتنة ،وشرع في تنفيذ سياسة الاضطهاد ضد الشيعة المقيمين في الدولة العثمانية ،ففرقهم في الولايات العثمانية الأوربية ،فرد الشاه إسماعيل الصفوي على ذلك بإقامة مذابح عامة ضد السنة في بلاده ،وتطورت المذابح إلى حرب بين الدولتين [2].

ويمكن أن نوجز عوامل الصراع بين العثمانيين والصفويين كالتالي[3]:

---

[1] ينتسب الصفويون إلى الشيخ الصوفي صفي الدين الجيلاني (1250-1334) ،وكان رئيسا لشعبة دراويش ،وقد توارث أبناؤه على خلافة الشعبة ،فكان منهم حفيده الخواجا علي الذي تعاون مع القائد المغولي تيمورلنك ،أثناء غزوه للأناضول ،إلى أن وصلت الرئاسة إلى الشيخ جنيد بن إبراهيم ،الذي قام بنشاط عسكري في منطقة شيروان ،وجمع حوله قوة عسكرية تكونت من أكثر من عشرة ألآف مقاتل ،وتحولت المشيخة إلى حركة سياسية قائمة على القوة .مما أثار مخاوف شيروان شاه ،الذي هزم جنيد وقتله في سنة 1447م ،ثم قتل ابنه حيدر من بعده بعد أن كثر اتباعه ،واعلم السلطان بايزيد الثاني بذلك .فرّ أبناء حيدر إلى دولة الآمه قيونلو (الخروف الأبيض) ،وانتهزوا فرصة اندلاع حرب أهلية ،فتزعم إسماعيل بن حيدر الذي تلقب بالشاه ،فاستولى على تبريز في سنة 1502م ،وأسس دولة شيعية ،بمساعدة قبائل التركمان وضم العراق ،وكانت دولتهم الشيعية المذهب تحيط بها دول سنية وهي :الأوزبك في تركستان ،والعثمانيون في الأناضول ،والمماليك في الشام ومصر .،والمغول في الهند ،فلم يجد الصفويون حليفا إلا البرتغاليين .للاطلاع أكثر ،ينظر :جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص ص 28-29.

[2] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 27 .

[3] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص ص 18-19.

- مشاكل الحدود وتداخلها بين الدولتين ،فقد حاولت الدولتان العثمانية والصفوية القضاء على الإمارات المغولية والتركمانية ،التي كانت في شمال العراق ،مما أدى إلى تداخل الحدود بين الدولتين ، وتأرجح ولاء الإمارات الحدودية بينهما .
- محاولة الدولة الصفوية نشر المذهب الشيعي في الأناضول ،وتحريض الأقليات الشيعية هناك على الثورة ضد الحكم العثماني السني ،وقيام الشاه إسماعيل بمذابح لسكان الحدود السنة .
- تشجيع الدولة الصفوية بعض الأمراء العثمانيين للتمرد على الدولة العثمانية ،واستقبالها لهم .
- العداء الشخصي الذي نشأ بين سليم الأول وإسماعيل الصفوي ،وتبادلهما الرسائل العنيفة .

2- معركة جالديران 1514م ونتائجها :

بعد توتر العلاقات بين السلطان سليم والشاه إسماعيل ،أعلن السلطان الحرب على الشاه وتوجه من مدينة أدرنة باتجاه مدينة تبريز في شهر مارس من سنة 920ه/ 1514م ،وقد السلطان سليم الجيش بنفسه متوجها إلى عاصمة الصفويين تبريز ،ورغم محاولة الجيش الصفوي انهاك الجيش العثماني مستغلين تعب الجيش العثماني ،إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك ،ووصل العثمانيون إلى مدينة تبريز والتقى الجيشان في وادي جالديران في 23 أوت من سنة 1514م ،وانتصر الجيش العثماني ،وفر الشاه ،وقتل عدد كبير من جنوده وأسر الكثير منهم ،كما أسرت احدى زوجاته .وفتحت المدينة أبوابها للسلطان في 4 سبتمبر من سنة 1514م ،فاستولى على أموال الشاه ،وأرسل عددا من صناع المدينة إلى القسطنطينية [1].

وبعد أن استراح السلطان ثمانية أيام بتبريز ،ترك المدينة نظرا لعدم توفر المؤونة الكافية لجيوشه ، حاول اقتفاء أثر الشاه لكنه توقف بسبب برودة الشتاء [2].ثم استولى السلطان سليم على أذربيجان وأخضع كردستان ،وديار بكر وماردين وشمال العراق ،وعاد بعد ذلك إلى استانبول .غير أن الموقف العسكري بعد جالديران لم يكن حاسما ،فهو لم يؤدي إلى انهيار إحدى الدولتين العثمانية أو الصفوية ،واتضح للعثمانيين أن الموقف يتطلب محاصرة الدولة الصفوية ،بالاستيلاء على المناطق المحيطة بها ، ومن هنا يتضح أن الفتح العثماني لبلاد الشام ومصر كان حلقة من حلقات الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية [3].

ومما سبق يمكن القول أنه كان ضروريا على الدولة العثمانية ،محاصرة الدولة الصفوية الشيعية وإبعادها عن الأماكن المقدسة حتى لا تقع تحت نفوذها

---

[1] محمد فريد بك :المصدر السابق ،ص 190 .
[2] محمد فريد بك :المصدر نفسه .
[3] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 28 .

،وبالتالي التوجه إلى مد النفوذ العثماني إلى المشرق العربي لحمايته من المد الشيعي الصفوي.

المحاضرة السادسة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : لماذا توجه العثمانيون إلى فتح بلاد الشام ومصر ؟ولماذا قضوا على دولة المماليك المسلمة السنية ؟وماهي أهم مراحل هذا الفتح العثماني ؟.

إذا كانت محاربة العثمانيين للدولة الصفوية ،تعود أساسا إلى تهديد الدعوة الشيعية للمذهب السني في الدولة العثمانية ،وللعالم الإسلامي السني عموما ،فإن محاربة الدولة العثمانية للمماليك في البلاد العربية ،وقضائها على دولتهم التي دامت لقرون ،يحتاج إلى تفسير واضح للعوامل الحقيقية ،التي جعلتهم يتوجهون إلى مثل هذا التصرف .

1- أسباب النزاع بين العثمانيين والمماليك [1]:

- هناك من يرى أن النزاع البرتغالي العثماني ،يعتبر سببا بارزا من أسباب توجه فتوحات العثمانيين إلى المشرق العربي ،لحمايته من الخطر الأوربي أو البرتغالي تحديدا ،الذي كان قد بدأ يظهر حول المنافذ البحرية للمشرق العربي ،وحاول أن ينفذ عن طريق مضيق باب المندب ،إلى البحر الأحمر بالتحالف مع حكام الحبشة المسيحيين .

- الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة المماليك حول تخطيط الحدود في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لأسيا الصغرى ،وبين شمالي أسيا ؛فقد كانت هذه المنطقة مقسمة إلى إمارات وقبائل تأرجح ولاؤها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك ،وكان هذا الوضع مبعث توتر في العلاقات بين الدولتين ،ومصدر نزاع مستمر بينهما ؛لذلك أراد السلطان سليم حسم قضية الحدود بالسيطرة كليا على هذه المنطقة .

- إن السلطان قنصوه الغوري (1501-1516) سلطان دولة المماليك أوى إليه بعض الأمراء العثمانيين الفارين من وجه السلطان العثماني سليم الأول ؛وعلى رأسهم أخيه الأمير أحمد ،لأن الغوري أراد أن يتخذ من هؤلاء الأمراء ،أداة لإثارة المزيد من المتاعب في وجه السلطان سليم .

- السياسة التي اتبعها السلطان الغوري أثناء الحرب ،التي قامت بين السلطان سليم والشاه إسماعيل الصفوي ،فقد وقف الغوري موقفا غير ودي من العثمانيين ،دون أن يفيد الشاه إسماعيل على الإطلاق ،فهو لم يلتزم الحياد التام بين العثمانيين والصفويين ،ولم يتخذ موقفا عدائيا صريحا من السلطان سليم ،بل اكتفى بتأييد شكلي للشاه إسماعيل .

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص ص 29-30 .

بالإضافة إلى العوامل السابقة الذكر ،هناك عوامل أخرى يمكن اعتبارها مباشرة في تأزم العلاقات بين الدولة العثمانية ،والمماليك ،والتي ساهمت في إشعال فتيل الحرب ،بين الدولتين وهي[1]:

- حشد تحالف مكون من إمارة ذي القادر التركمانية ،الواقعة شمال بلاد الشام ،وملك جورجيا ، والصفويين ،المماليك ،ضد الدولة العثمانية .
- شعور السلطان المملوكي قنصوه الغوري بالضيق الشديد ،نتيجة لضم السلطان العثماني سليم الأول ؛إمارتي ذي القادر والبستان ،الفاصلتين بين حدود الدولة العثمانية ودولة المماليك ،وقتل أميرها علاء الدولة في سنة 1515م حليف المماليك ،وزاد من غضبه أن السلطان سليم الأول ،أرسل له رؤوس علاء الدولة ،وولده ،ووزيره .
- عدم سماح المماليك للعثمانيين بالسير ضمن أراضي الدولة المملوكية ،للوصول إلى البرتغاليين لمنازلتهم ،خوفا على حكمهم ،وعلى مصالحهم ،وخوفا من جيرانهم الصفويين ،الذين يعتبرون السماح لدخول العثمانيين أراضي المماليك اعتداء عليهم .
- كانت الدولة العثمانية في حالة ازدهار وتقدم ،وانتصارات مستمرة ،الأمر الذي جعل السلطان سليم الأول ،الذي يشعر بأحقيته في تزعم العالم الإسلامي ،وضرورة حماية الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) ،خاصة مع عدم قدرة المماليك على حمايتها .
- تأكد العثمانيين من ضعف قوة المماليك بعد هزيمة الأسطول المملوكي ،أمام الأسطول البرتغالي في معركة ديو في سنة 1509م ،مقابل مدينة جدة ثم تخريبها .
- سوء الأحوال السياسية الناتجة عن الانقسامات والخلافات بين قيادات المماليك ،وسوء الأحوال الاقتصادية الناتجة عن تحول الطرق التجارية عن مصر ،هذه الوضعية جعلت الرعية في دولة المماليك نظر إلى العثمانيين وفي مقدمتهم السلطان سليم الأول نظرة احترام وتقدير ،وتعطيه الشرعية لحكم المسلمين باعتباره خليفة للمسلمين .

ومما سبق يمكن القول أنه نتيجة لهذه الأسباب بات واضحا أن علاقات الدولتين العثمانية والمماليك ،ستتحولان إلى حالة صراع مباشر ،وأن الدولتان ستدخلان في حرب مباشرة ،على الرغم من أنهما على المذهب السني ،لكن المصالح السياسية هي التي تحكمت في علاقاتهما في هذه المرحلة وفرضت على الدولة العثمانية القوة الصاعدة ،القضاء على دولة المماليك الضعيفة .

المحاضرة السابعة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) :

---

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 34 .

<u>الإشكالية :</u> ماهي المراحل التي تتبعها العثمانيون لضم بلاد المشرق العربي لسيادتهم ؟ كيف كان موقف شعوب المنطقة من هذا الفتح ؟وما هو رد فعل المماليك ؟ .

1- فتح بلاد الشام :

1.1- تعاطف سكان بلاد الشام مع العثمانيين :

يبدو جليا من خلال كلام ابن إياس مؤرخ المماليك ،إن المماليك كانوا يشعرون منذ فتح العثمانيين للقسطنطينية بقرب الانقضاض عليهم ،فقد أخذت دولة إسلامية قوية تنمو على حدودهم الشمالية، تشق طريقها الخاص .ومن جهة أخرى أن سلطنة المماليك وصلت إلى أدنى درجات الانحلال الاجتماعي .وأمام العجز المملوكي الخارجي عن مواجهة غزو الأوربيين ،ووقف الانحلال الاجتماعي ،بدأت أنظار المسلمين تتجه تدريجيا نحو الخلافة الإسلامية المتنامية ،والمتمثلة في الدولة العثمانية ،التي بلغت أوج قوتها في القرن السادس عشر .وحسب ابن إياس ((**...أن شائعات وصلت إلى مصر عن العدل الزائد عن أولاد عثمان وهم في بلادهم قبل أن يدخل سليم الأول إلى مصر ...**)) [1].

وفي بلاد الشام كان التعاطف مع العثمانيين قد بلغ أشواطا بعيدة قبل حصول معركة مرج دابق ، ويتضح ذلك من خلال مضمون نقاش ورد بين السلطان الغوري وأمرائه ،حيث وجهوا له الكلام ((**يامولانا السلطان غالب البلاد الحلبية خرجت عن أيدينا ،وصار بيد ابن عثمان ،وخطب له فيها باسمه ،وضربت السكة باسمه ...وفسدت أحوال المملكة ،وغالب الرعية بحلب وغيرها من ظلم النواب ،وجورهم يميلون إلى ابن عثمان لأجل عدله في الرعية ،وهذه الأحوال غير صالحة**)) .وكان لأخبار الانتصارات ،التي حققها العثمانيون في أوربا صدى في العالم الإسلامي ،فقد ظهرت منشورات داخل الدولة المملوكية تمجد العثمانيين .ومن جهة أخرى ظهرت المشاعر المعادية في الأوساط العثمانية ،بعد أن رفض المماليك التعاون مع العثمانيين في حربهم ضد الصفويين في سنة 1502م ،وبذلك تحول المماليك تدريجيا إلى عدو في نظر العثمانيين[2].

بعد انتهاء السلطان سليم من الصفويين وهزيمتهم في جالديران سنة 1514م ،بدأ في الاستعداد لمهاجمة المماليك ،وقرر ذلك في سنة 1516م ،ولما علم السلطان قنصوه الغوري بتأهب السلطان سليم لمحاربته ،أرسل له رسولا لعقد الصلح ،لكن السلطان سليم طرد السفير ،سار بجيشه إلى بلاد الشام قاصدا وادي النيل [1].

1.2- معركة مرج دابق وضم بلاد الشام :

---

[1] نقلا عن :علي عبد المنعم شعيب :**التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ،دار الفارابي ،ط1 ،بيروت ،لبنان 2005 ،ص ص 13-14 .

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع نفسه ،ص ص 14-16 .

[1] محمد فريد بك المحامي :المصدر السابق ،ص 192 .

قرر السلطان سليم حسم أمر إمارة ذي القادر ،التي تحظى بتأييد للمماليك ،والتي تعاون أميرها علاء الدولة مع الصفويين في صراعهم مع العثمانيين ،عندها أعلن السلطان الغوري التعبئة استعدادا للحرب .ونتيجة لذلك تولدت قناعة لدى الشعب بان الصراع مع العثمانيين لا مبرر له . فبدأت فئات الشعب في بلاد الشام بتقويض تدابير التعبئة العامة ،بل انخرطوا في أعمال معادية للحكومة بصورة مباشرة ،وخرجت قرى كثيرة باسرها عن طاعة السلطات المملوكية ،وبدا التفسخ في الأوساط الحاكمة ،وبدا كثير من القادة العسكريين ،وعلى رأسهم خاير بك عامل حلب ،يتعاطف مع العثمانيين ،فيما راح نائب الشام يرسل إلى السلطان الغوري ،رسائل تموه عن تحركات العثمانيين على الحدود .وفي هذا الوضع المتفاقم حاول السلطان الغوري تأخير اندلاع العمليات العسكرية بكل الوسائل ،لكنه فشل في ذلك [2] .

وقعت معركة مرج دابق وهي قريبة من حلب ،بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول ، الذي كان عمره 46 سنة ،والجيش المملوكي بقيادة السلطان قنصوه الغوري ،والذي كان عمره 66 سنة ،وكان الغوري قد اصطحب معه الخليفة العباسي المتوكل إلى أرض المعركة ،وكان الجيش العثماني مزود ب 300 مدفع ،ومكون من 60000 جندي ،أما الجيش المملوكي فكان مكون من 80000 جندي ،لكن المماليك لم يستغلوا التفوق العددي[3].

التقى الجيشان في مرج دابق شمالي حلب في 24 أوت سنة 1516م ،وكان مع السلطان الغوري نائبه في دمشق الغزالي ،والأمير فخر الدين المعني نائبه على لبنان ،فاشتعلت الحرب بين الجيشين ،فاستمال السلطان العثماني سليم ،الغزالي والمعني فانحازا إليه ،ورجحت كفة الحرب للعثمانيين ،فانهزم المماليك ،وقتل السلطان الغوري ،وخلفه ابن أخيه السلطان طومان باي ،فانسحب المماليك إلى غزة

فلحقهم العثمانيون وهزموهم ،ففر طومان باي ومن بقي من قواته إلى مصر [1].

وعن تفاصيل هزيمة المماليك في الشام ،فبعد أن ذاع نبأ مقتل الغوري[2]،ولى الجنود المماليك هاربين ،وأغلق سكان حلب باب مدينتهم في وجه المماليك الهاربين ،بينما فتحت المدينة أبوابها للعثمانيين ،واستقبل السلطان سليم بالحفاوة ،والترحاب ،وأقيمت خطبة الجمعة باسمه ،ومكث فيها ثمانية عشر يوما نظم

---

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ،ص ص 16-17 .

[3] يلماز أوزتونا :المصدر السابق ،ص 222 .

[1] بولس مسعد :**الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1517-1916** ،دار الكتب المصرية ،ط1 ،مصر 1916 ،ص ص 9-10 .

[2] هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قنصوه الغوري الظاهري الأشرفي ،اصله من مماليك الأشرف الظاهر خشقدم ،بويع له بالملك في سنة 906 ه ،كان له العديد من المنشآت العمرانية خاصة في القاهرة ،قتل في معركة مرج دابق على يد العثمانيين في سنة 1516م .ينظر :محمد فريد بك المحامي :المصدر السابق ،ص 192 .

شؤونها ،ثم توجه إلى حماة ،ثم حمص ،ثم مدينة دمشق ،ثم قصد أمراء لبنان ،وتوالت مدن طرابلس ،نبلس ،والقدس وغزة .فرح الناس بالحكم الجديد ،ورحبوا به ،واعتقدوا أن السلطان العثماني سليم الأول ؛قادر على رفع مستوى البلاد من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والإدارية كافة [3].

ومما سبق يمكن القول أن العثمانيين لم يجدوا أية صعوبة في ضم بلاد الشام ،فقد كانت كل الظروف مهيأة لهم ،وهذا يعود إلى السياسة التي اتبعها المماليك في المنطقة ،والتي جعلت السكان ينقمون عليهم ،ويرحبون بالعثمانيين لما سمعوا عنهم من عدل في بلادهم .ومن جهة أخرى فإن نجاح العثمانيين لبلاد الشام فتح لهم الباب لضم مصر والقضاء على دولة المماليك .

المحاضرة الثامنة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : ماهي التي تتبعها العثمانيون لضم مصر ؟وكيف كان رد فعل المماليك ؟ وما هو موقف المصريين من العثمانيين ؟.

1- ضم العثمانيين لمصر:

1.1- معركة الريدانية :

كان المماليك قد اختاروا بعد مقتل السلطان الغوري ،ابن أخيه طومان باي سلطانا لدولة المماليك ،والذي استعد لمواصلة الحرب ضد العثمانيين [1].وكان السلطان سليم قد أرسل سفارة إلى طومان باي ؛يعرض عليه الاعتراف به كحاكم تابع له .لكن سفارة السلطان سليم لم تنجح ،لان طومان باي قام بإرسال جيش إلى غزة لاستردادها في ديسمبر من سنة 1516م ،لكن الجيش المملوكي هزم بسبب قوة مدفعية العثمانيين .فتقدم العثمانيون نحو مصر ،أراد طومان باي التصدي لهم عند الصالحية ،قبل أن يصلوا موارد المياه والرعي ،لكن كبار قادته اصروا على الوقوف عند معسكر الريدانية خارج القاهرة ؛لملاقاة الجيش العثماني[2].

---

[3] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص ص 36-37 .

[1] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 30 .

[2] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 38 .

التقى العثمانيون والمماليك في الريدانية في 22 جانفي 1517م ،فانهزم المماليك ،وفتحت أبواب القاهرة ،وتقرر مصير مصر خلال ساعة واحدة ،ففر طومان باي ،ولكن تم إلقاء القبض عليه ،بعد أن سلمته إحدى قبائل البدو للعثمانيين ،وأعدم في باب زويلة بالقاهرة .وقد وصف المؤرخ المصري ابن إياس إعدام السلطان طومان باي بقوله ((**فور أن أسلم الروح ارتفعت صيحة مدوية من الحضور ،إذ لم يشهدوا من قبل قط شنق أي من سلاطين مصر على باب زويلة ،لم يحدث هذا أبدا**)) [3] .

مكث السلطان سليم لبعض الوقت في القاهرة ،فقد امتدت إقامته ما يقرب تسعة أشهر، فاستقبل سفراء الدول الأوربية ،ونظم البلاد ،ثم عاد إلى الأستانة ،مصطحبا معه الخليفة العباسي المتوكل على الله ،وقد اختلف الرواة حول صحة تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة ،فيذكر البعض أنه ((**تنازل عن الخلافة وسلم الأثار النبوية الشريفة البيرق ،والبردة واللواء ،وسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين ،ومنذ ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين ،وخليفة لرسول رب العالمين**)) [1].

في حين ذكر البعض أن ((**موت الخليفة كان خاتمة آخر فصل في تاريخ الخلافة الإسلامية ،وسواء تنازل الخليفة عن منصبه للسلطان العثماني ،أم لم يفعل فإن الحقيقة الثابتة ؛هي أن حاكم القسطنطينية ظل يتمتع بالتدريج بامتيازات الخلافة**))[2].

إن نجاح العثمانيين العسكري في بلاد الشام ومصر ،وإشرافهم على البحر المتوسط ،نبّه إسبانيا والبندقية إلى مدى قل وزنها السياسي ،والعسكري ،والديني ،وخطورة هذه الدولة الناشئة ،حتى أن البابا ليون العاشر ،الذي كان يخشى أن تتعرض سلامة أوربا للخطر ،شرع يعدّ حربا صليبية جديدة . كما استفاد العثمانيون من موقع بلاد الشام لضرب الإسبان ،والبنادقة وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس في عرض البحر المتوسط [3].

2- ضم الحجاز للسيادة العثمانية :

دخل الحجاز دخولا سلميا تحت السيادة العثمانية ،إذ رأى الشريف بركات بن محمد (1495-1524) شريف مكة ،أن يتحول بولائه للعثمانيين ،بعدما كان إقليم الحجاز تحت السيادة الاسمية للمماليك .فقد كانت مصر ترسل كل عام الأموال والغلال لفقراء مكة والمدينة ،والمرتبات والهدايا لأشراف الحجاز .ولما دخل

---

[3] نقلا عن :يوجين روجان :**العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر** ،ترجمة :محمد إبراهيم الجندي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،ط1 ،جمهورية مصر العربية 2011 ،ص 31 .

[1] محمد فريد بك المحامي :المصدر السابق ،ص 194 .

[2] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص 25 .

[3] إبراهيم سعيود :**القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة ،القرصنة الإيطالية نموذجا** ،في مجلة **الواحات للبحوث والدراسات** ،العدد 11 ،المركز الجامعي غرداية ،الجزائر 2011 ،ص 148 .

السلطان سليم القاهرة ،وجد بها بعض القضاة ورجال العلم من الحجاز ؛ كان السلطان الغوري قد اعتقلهم ،فاطلق السلطان سليم سراحهم ،فأشاروا عليه بأن يكتب إلى شريف مكة الشريف بركات ،يدعوه إلى الدخول في طاعة العثمانيين .استجاب بركات للدعوة التي تلقاها ،وأرسل ابنه (أبو نمي) إلى القاهرة يحمل التهاني للسلطان سليم ،ومفاتيح الحرمين الشريفين . وقد أكرم سليم وفادة الابن ،وأعطاه تفويضا بحكم والده ،وقرئ التفويض في مكة المكرمة ،وخطب باسم السلطان سليم ،واحتفظت الدولة العثمانية بنظام الشرافة ؛كما كان في أيام دولة المماليك[4].

واذا كان التفويض للشريف بركات قد قوّى مركزه أمام خصومه ،فقد جعل من السلطان سليم خادما للحرمين الشريفين ،وجعل مكانته أقوى أمام الشعوب الإسلامية ،وبخاصة أن الدولة أوقفت أوقافا كثيرة على الأماكن المقدسة .وقد أدى ضم العثمانيين للحجاز ،إلى بسط السيادة العثمانية في البحر الأحمر ؛مما أدى إلى دفع الخطر البرتغالي عن الحجاز والبحر الأحمر[1].

ومما سبق يمكن القول أن ضم العثمانيين لمصر ،جعلهم يرثون ممتلكات المماليك ،وجعلهم يفكرون في ضم شبه الجزيرة العربية ،والبلاد العربية عموما .فقد سارعت الأقاليم التي كانت تابعة للمماليك بتقديم فروض الطاعة للعثمانيين ،منذ سقوط القاهرة على يد السلطان سليم الأول ،وبالتالي ورث العثمانيون الأرض ،وورثوا الشرعية الدينية والروحية ،التي خولت لهم حكم العالم الإسلامي .

---

[4] إسماعيل أحمد ياغي :المرجع السابق ،ص 31 .

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 41 .

المحاضرة التاسعة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : لماذا سارعت الدولة العثمانية إلى ضم الأقاليم العربية التي كانت تابعة للمماليك ؟وما هو قادة تلك الأقاليم من الزعامة العثمانية ؟.

1- ضم العثمانيين لليمن والجزيرة العربية :

كان اليمن تابعا للمماليك ،وعندما انهار النظام المملوكي في مصر ،ارسل حاكم اليمن إسكندر الجركسي ،وفدا إلى السلطان سليم الأول ؛ليقدم له فروض الولاء والطاعة ،فوافق السلطان العثماني سليم على إبقائه في منصبه .ولكن السيطرة العثمانية على اليمن كانت ضعيفة ؛ويعود ذلك إلى الصراعات الداخلية بين القادة المماليك ،وازدياد نفوذ الأئمة الزيدية بين قبائل الجبال ،إضافة إلى الخطر البرتغالي ،الذي كان يهدد السواحل اليمنية ،ونظرا لأهمية اليمن في حماية الأماكن المقدسة ، ولأهمية موقعها للسيطرة على البحر الأحمر والخليج العربي ،فقد أرسلت الدولة العثمانية عدة حملات بحرية لحماية المنطقة ،منها حملة سليمان باشا الأرناؤوطي في سنة 945ه/1538م[1].

نجح العثمانيون في إعادة فتح اليمن ،وسيطروا على تهامة وعدن ،غير أن الزيديين قاوموا الحكم العثماني ،مما جعل الدولة العثمانية ترسل حملة أخرى في سنة 1568م ؛بقيادة سنان باشا لفتح اليمن مرة ثانية ،وقد مد العثمانيون نفوذهم إلى عمان والأحساء ،والبحرين والكويت .وبذلك أصبحت شبه الجزيرة العربية ملحقة بالدولة العثمانية اسميا ،كما جابه العثمانيون البحرية البرتغالية ،وانتزعوا منها مضيق هرمز ومسقط ،وأجبرت البرتغال عن التخلي عن مشروعاتها الاستعمارية في البحر الأحمر[2].

2- ضم العثمانيين للعراق :

سيطر العثمانيون على شمال العراق ؛الموصل والمناطق المجاورة لها بعد انتصار السلطان العثماني سليم على الصفويين في معركة جالديران في سنة 1514م ،والتي انهزم فيها الصفويون بسبب استخفافهم بقوة الجيش العثماني [3].وعين السلطان سليم أحد قواده فرهاد باشا ،لإكمال احتلال الولايات المتاخمة للدولة

---

(1) جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 41 .

(2) محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص 26 .

(3) أوقاي ترياقي أوغلو :**السلطان سليمان القانوني سيد العصر الرائع** ،ترجمة :عبد القادر عبد اللي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط1 ،أبوظبي 2013 ،ص 111 .

العثمانية ،وقد كلف فرهاد باشا وهو بيقلي محمد باشا ،للسيطرة على الموصل وأربيل وكركوك ،فقام باحتلالها في سنة 1515م ،غير أن الحمك العثماني في هذه المناطق ظل قلقا
بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السكان من العثمانيين[1].

وقد أعدّ السلطان سليم حملة لاحتلال العراق وطرد الصفويين ،لكن الموت عاجله في سنة 1520م ، فقام ابنه السلطان سليمان القانوني (1520-1566) ،بتنفيذ الخطة القائمة على ضرب الصفويين في العراق للانطلاق نحو الخليج العربي .استمال السلطان سليمان حاكم بغداد ذو الفقار علي بيك ، الذي اظهر ولاءه للعثمانيين بعد وفاة إسماعيل الصفوي ،لكن الشاه طهماسب ابن إسماعيل الصفوي ،قاد حملة ضد بغداد في سنة 1530م ،وقتل حاكمها ذو الفقار ،وأعادها لسيادة الصفويين لذلك قاد العثمانيون حملة أخرى لتطهير بغداد نهائيا من الصفويين في سنة 1534م ،وعين عليها سليمان باشا واليا ،والذي أعاد الطمأنينة والاستقرار لسكانها ،ونظم الإدارة الضرائب [2].وبعد أن قضى السلطان سليمان القانوني أربعة اشهر ببغداد ،رتب الإدارة الداخلية بها ،وزار قبور الأئمة العظام ،وقبر الخليفة الراشد الرباع علي بن أبي طالب ،وقبر ابنه الحسين ،سار إلى مدينة تبريز في سنة 1535م ،بعد أن ترك مع واليها سليمان باشا ألفا جندي لحمايتها [3].

وفي سنة 1541م ثار والي البصرة الشيخ راشد بن مغامس ضد العثمانيين بعد أن كان تابعا لوالي بغداد ،لذلك قاد حاكم بغداد العثماني إياس باشا حملة ضد البصرة في سنة 1546م ،وقضى على أسطولها النهري وأحرقه ،ومنع أية محاولة من طرف البرتغاليين لمساعدة الشيخ راشد ،واتبعت البصرة مباشرة للعثمانيين ،وأصبح إياس باشا أول وال عثماني لها .ورغم الفتح العثماني للعراق ،إلا أن ذلك لم يقضي نهائيا على الصراع العثماني – الصفوي على العراق ،فقد تمكن الصفويون من الاستيلاء على بغداد في سنة 1602م ،إلا أن ذلك لم يدم طويلا ،فقد أعاد السلطان العثماني مراد الرابع (1623-1640) فتح العراق في سنة 1638م ،وبذلك بقي العراق تحت الحكم العثماني إلى غاية الحرب العالمية الأولى[4].

لقد ورث السلاطين العثمانيون من المماليك مهمة حماية البحر الأحمر ،ومداخله من أطماع البرتغاليين ،الذيم كانوا قد تحالفوا مع خصمهم الشاه إسماعيل الصفوي ،وبذلك اتخذ العثمانيون منذ قضائهم على المماليك مباشرة ،التدابير لطرد البرتغاليين من البحر الأحمر ،وبذلوا جهودا كبيرة لبناء أسطول قوي ،لمواجهة التحديات في البحر المتوسط ،وتحديات البرتغاليين في المياه الشرقية ،وازدادت

---

[1] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 42 .
[2] جميل بيضون وأخرون :المرجع نفسه ،ص 43 .
[3] محمد فريد بك المحامي :المصدر السابق ،ص 223 .
[4] جميل بيضون وأخرون :المرجع السابق ،ص 44 .

بذلك قوتهم كثيرا ،منذ استيلائهم على البصرة ،وعدن وجنوب اليمن ،ولم يلبث أن أصبح الأسطول العثماني قوة كبيرة في منتصف القرن السادس عشر[1].

وبذلك يمكن القول انه بفضل قوة العثمانيين البحرية في البحر الأحمر ،سلمت منطقة الجزيرة العربية من أخطار البرتغاليين وأطماعهم ،وتهديدهم للبقاع الإسلامية المقدسة في الحجاز ،وسعيهم إلى التحالف مع ملك الحبشة ،والعمل على تعطيل تجارة المسلمين مع الشرق ،لو استطاعوا السيطرة على عدن ،وعلى مدخل البحر الأحمر[2].

ومما سبق يمكن القول أن الفتح العثماني لبلاد المشرق العربي ،كان ضرورة حتمية فرضتها الظروف الداخلية للمنطقة ،وكذا الظروف الإقليمية والعالمية المحيطة بها ،فكان لزاما أن تظهر قوة إسلامية جديدة وقوية تحمي المنطقة ،وتسد ذلك الفراغ السياسي الذي كانت تعيشه ؛بسبب ضعف دولة المماليك وعدم قدرتها على حماية المنطقة من التهديد الخارجي الشيعي من جهة ،والمسيحي البرتغالي من جهة أخرى .

المحاضرة العاشرة : طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي :

الإشكالية : كيف كانت سياسة الحكم العثماني في بلاد الشام عند فتحها ؟وهل أدخل العثمانيون تغييرات جديدة على النظام الإداري في المنطقة ؟أم انهم حافظوا على الموروث الذي وجدوه قبلهم ؟.

1- سياسة الحكم في الولايات العثمانية :

---

[1] إدريس الناصر رئيسي :المرجع السابق ،ص 41 .

[2] إدريس الناصر رئيسي :المرجع نفسه .

قامت الدولة العثمانية على أساس الحكم المطلق ،فكان السلطان وحده صاحب السلطة العليا في إدارة البلاد ،مستعينا بمن وثق بهم من الرجال ،فاسند اليهم المناصب العالية في مختلف الشؤون العسكرية ،والمدنية الداخلية والخارجية .أما الولايات المرتبطة مباشرة بالعاصمة ،دون أن يكون لها نظام إداري خاص بها ،فكانت تدار من قبل ولاة يعينهم السلطان بصلاحيات واسعة ،تبعا للحكم المطلق .وكان الوالي يعتمد في الإدارة خبراء ؛وهم في الغالب من أبناء مركز الولاية ،ويتعاون مع الزعماء الإقطاعيين في الملحقات .وكان همه الأول هو إقرار الأمن والسكينة ،وتأمين الطاعة لجلالة السلطان وجباية الضرائب ،فيرسل منها المبلغ المفروض إلى العاصمة ،ويصرف الباقي في سبيل الإدارة المحلية من عسكرية ومدنية [1].

ومن جهة أخرى لم يكن للعثمانيين خطة عامة واحدة لإدارة حكم البلاد ،التي خضعت لهم أو دخلت في طاعتهم ،بل تأثرت سياستهم الإدارية بصورة عامة بالأوضاع الداخلية ،التي كانت قائمة في كل بلد قبل دخوله ،وبالظروف التي تم فيها الفتح [2].وكان التنظيم الإداري العثماني يرتكز في البلاد المفتوحة على قبولها ؛وجود ممثل السلطان أو نائبه (الباشا) ،وحامية تركية تكون محدودة العدد في الأحوال العادية ،ودفع الضرائب .وفيما عدا ذلك تبقى السلطة العثمانية بعيدة عن الحياة العامة للبلاد المحكومة ؛فلم يكن للدولة العثمانية سياسة عامة مرسومة في الاقتصاد والتعليم الخ ... [3].

وعلى صعيد آخر استند الأساس القانوني للسلطة العثمانية على دعامتين :الشريعة الإسلامية والأعراف الحقوقية لسكان البلاد المفتوحة ،ولذلك لم يكن السلطان العثماني بالأمير المطلق الصلاحيات .فقد كانت البلاد العربية تمثل خمس المساحة الإجمالية من أراضي السلطنة ،عند مستهل القرن السادس عشر ،لذلك لم يتبع السلطان إدارة مركزية مطلقة في الولايات العربية ،بل اتبع أساليب إدارية مختلفة ؛تبعا لخصوصيات الأماكن التي انضوت تحت لوائه .فقد قسمت البلاد العربية إلى ولايات ،كان عددها نحو إحدى عشر ولاية باستثناء بلاد المغرب .وكان هذا العدد يزيد وينقص في بعض الفترات ،وكانت مختلف الولايات والمناطق تتمتع بدرجات متفاوتة من الحكم الذاتي[1].

لقد كان مجموع ولايات الدولة العثمانية 39 ولاية ،وبلغ مجموع الولايات العربية 12 ولاية ،وهي كالتالي :الحجاز وبيروت ،اليمن ،البصرة ،بغداد ،والموصل ،حلب ،سوريا (دمشق) ،الجزائر ،طرابلس الغرب ،تونس ،مصر .أما المتصرفات فهي :القدس ،بنغازي ،دير الزور ،وجبل لبنان ،وترتبط هذه الولايات

---

[1] يوسف الحكيم :**سورية والعهد العثماني** ،ط4 ،دار النهار للنشر ،بيروت 1991 ،ص 15 .

[2] محمد خير فارس :**تاريخ الجزائر الحديث** ،مكتبة دار الشروق ،ط1 ،بيروت 1969 ،ص 54 .

[3] محمد خير فارس : المرجع السابق نفسه .

[1] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ،ص ص 20-21 .

والمتصرفات بالعاصمة استانبول مباشرة[2].لقد كان الباب العالي يمارس سلطته على الولايات العربية من خلال إطار لنظام ،يتكون أساسا من ثلاثة عناصر رئيسية وهي :الحاكم ،والمليشيات (الجند) ،ثم القاضي[3].

2- نظام الحكم العثماني في بلاد الشام :

على الرغم من أن بلاد الشام وقعت تحت حكم العثمانيين ،إلا أنه لم يقع تحت الحكم العثماني المباشر سوى القليل من المدن والقرى .وبقيت بقية البلاد ؛ولاسيما المناطق الجبلية ،تحت حكم أمرائها وشيوخها المتوارثين ،والذين كانوا كالسابق يعقدون الكونفدراليات فيما بينهم ،ويقومون بالحملات مع قواتهم ،ويخوضون الحروب ضد بعضهم البعض ،دون أن يسالوا الباشوات ،ويتمردون
عليهم أحيانا ،ويجرى إقرار حقوقهم أحيانا أخرى من ديوان القسطنطينية مباشرة ،رغم الباشوات
ودرء لتمرد الباشوات [4].

فقد كان الباشا يتعهد بان يدفع للباب العالي ؛مبلغا معينا من الإتاوة المفروضة على الباشالك (الباشالق) الخاضع له ،وبالمقابل تقدم إليه وبصورة كاملة دخول منطقته ،التي ينفق منها على قصره وجيشه .وكل ناحية تابعة له كان يفرض عليها بدوره مبلغا ،يتفق وموارد هذه الناحية .وكانت الإتاوة التي يقدمها الباشالك إلى الباب العالي تبقى ثابتة ،ولكن المبالغ التي يجيبها الباشوات من المناطق ، كانت تتغير طبقا للظروف ،ولدرجة جبروت الباشوات أو لأهوائهم [5].

لقد ظلت سلطة الأمراء والحكام المحليين ،ولاسيما في لبنان على ما كانت عليه قبلا ،فقد كانوا مستقلين في شؤونهم الداخلية في تمام حريتهم ،لا يرجعون إلى الدولة إلا في الأمور الكلية الكبرى ، ولاسيما في عهد الأمراء التنوخيين ،والمعنيين ،والشهابيين ،واللمعيين ،وبني عساف وغيرهم ،فكان أولائك الأمراء ،والمشايخ من ورائهم يقضون بين الناس بحسب مشيئتهم ومنازعهم[1] .
وكانت سورية (بلاد الشام) خلال العهد العثماني قبل سنة 1839م ،مقسمة إداريا على الوجه التالي :

1- ولاية سورية ومركزها دمشق .
2- ولاية حلب وتشمل انطاكية وإسكندرونة ،وألوية في الشمال معظم سكانها من الترك والأرمن .

---

[2] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ،ص 55 .
[3] أندريه رايمون :**المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ،ترجمة :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1991 ،ص 23 .
[4] قسطنطين بازلي : **سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني** ،ترجمة :طارق معصراني ،دار التقدم ،موسكو 1989 ،ص 28 .
[5] قسطنطين بازلي :المصدر السابق نفسه .
[1] بولس مسعد : المصدر السابق ، ص 5 .

3- ولاية طرابلس .
4- ولاية صيدا وتشمل بيروت وعكا .
5- متصرفية القدس مركز إدارة فلسطين المرتبطة مباشرة بالعاصمة .
6- المقاطعات ذات الامتياز الإداري ،وقد نالته بحكم الأمر الواقع منذ قدم سورية بعد الفتح الإسلامي ؛من أمراء وإقطاعيين ومشايخ محليين ،فكان التنوخيون في اللاذقية ،وبنو سيفا والأيوبيون في شمال طرابلس ،آل حرفوش في بعلبك وجوارها ،والشيخ ضاهر العمر في بلاد صفد وعكا وبعض فلسطين ،والأمراء المعنيون والشهابيون وغيرهم في لبنان [2].

وقد كان الحكم في سوريا أقرب إلى الحكم المباشر ،أما في لبنان كان خاضعا لعصبيات عائلية، وسلالات الأمراء المحليين .وقسمت الولاية (الإيالة) إلى وحدات إدارية صغيرة ؛سميت كل واحدة منها سنجقا أو لواء ،وعرفت إدارة السناجق أشكالا مختلفة من الأساليب ،طبقت معظمها في بلاد الشام. وسمت الدولة العثمانية على إدارة الولاية وال أو بكلريكي ،ولم تسمع له بالبقاء مدة طويلة حتى لا يقوى مركزه ،فمثلا توالى على ولاية دمشق 133 وال في أول 180 سنة [3].

ومما سبق يمكن القول أنه لم يحدث العثمانيون تغييرات جذرية في النظام الإداري عند ضمهم لبلاد الشام ،بل حافظوا على نفس التنظيمات ،التي وجدوها قبلهم ،فتركوا التقسيمات الإدارية ،والأسر ،والقادة ،والمشايخ ،الذين كانت لهم امتيازات في عهد المماليك .لكنهم أدخلوا بعض التعديلات التي كانت موجودة في الولايات العثمانية الأخرى ،حتى يضمنوا ولاء المنطقة لهم .

المحاضرة الحادية عشر : طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي (تابع) :

الإشكالية : هل طبق العثمانيون سياسة خاصة عند حكمهم للبلاد المصرية ؟ أم انهم حافظوا على الموروث المملوكي لحكم مصر ؟.

1- سياسة الحكم العثمانية في مصر :

لم ينزع السلطان العثماني سليم الأول الحكم من أيدي الأمراء والحكام ،الذين كانوا يتولون البلاد المصرية ،لئلا ينتفضوا عليه ويثوروا ضده ،فاقر أكثرهم على في ولاياتهم وأقطاعاتهم ،بعد أن فرض عليهم جزية قليلة ،فترك للمماليك في مصر بيكاتهم الأربعة والعشرين ،وهي الإقطاعات التي كانوا يحكمونها بأمر ملوكهم .إلا أنه وضع لها نظاما مماثلا لنظام الولايات العثمانية ،وأطلق عليها اسم سنجق .ولم يقض في وادي النيل إلا على سلطة المماليك العليا .وجعل خير بك نائبا له في مصر مكافأة له على انحيازه إليه في حربه مع طومان بك [1].

---

[2] يوسف الحكيم :المرجع السابق ،ص ص 16-17 .
[3] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ،ص ص 20-21 .
[1] بولس مسعد :المصدر السابق ، ص 9 .

وعند تولي السلطان سليمان القانوني الحكم في سنة 1520م ،وضع قانون يحدد الهيكل الإداري لكل إقليم عثماني ،فلقب في الغرب باسم القانوني .وقد أشاد المؤرخ المصري الجبرتي بإصلاحاته القانونية والإدارية بقوله :((**أسس القواعد وتمم المقاصد ،ونظم الممالك ،وأنار المحالك ،ورفع منار الدين ،وأخمد نيران الكافرين ...ولم تزل البلاد (أي مصر) منتظمة في سلكهم ،ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الأوان ،الذي استولوا عليها فيه ،إلى هذا الوقت الذي نحن فيه**)) [2].

وقد سنت مسودة أول دستور محلي في مصر في سنة 1525م ،وقد قدم إبراهيم باشا الصدر الأعظم للسلطان سليمان المدونة القانونية ،بوصفها جزءا محوريا من مهمته الهادفة إلى إعادة بسط سلطة سليمان القانوني على مصر .وتحدد الوثيقة الاطار الإداري على جميع المستويات حتى مستوى القرية ،وتبين مسؤوليات ذوي المناصب المتعلقة بالحفاظ على الأمن ،وصيانة نظام الري ،وجباية الضرائب ،وتوضح القواعد التي تحكم مسح الأراضي ،والأوقاف ،وصيانة مخازن الحبوب ،وإدارة الموانئ البحرية .بل تحدد عدد الاجتماعات التي ينبغي للوالي عقدها مع مجلس الدولة الاستشاري ، وهي أربعة اجتماعات أسبوعيا [3].

وقد أكثرت السلطة العثمانية من تغيير الولاة ،فحكم بعض الولاة أقل من شهر ،فحكم مصر27 واليا خلال القرن الأول (1591-1517) ،منهم اثنان حكموا ثلث المدة [1].وكان الحكم في مصر حكما ذاتيا ؛يسيطر عليه بكوات المماليك ،توالى على حكمها 100 وال في مدة 280 سنة[2].

ومن جهة أخرى فقد ترك العثمانيون في القاهرة الأرستقراطية المملوكية المحلية مستمرة في بقائها، وقد تحصنت بقوة داخل الحكومة وفي استثمار الريف ،وقد نمى في البلاد نظام ثلاثي يسعى أطرافه إلى السيطرة على السلطة ،وعلى المغانم التي تحققها ،ويضم الباشا (الوالي) المعين من قبل الباب العالي والانكشاريين ،الذين يسيطرون على العاصمة ،والبكوات الذين يحكمون الأقاليم .وانتهى الصراع بسيطرة البيوتات المملوكية على الحياة السياسية في مصر منذ القرن الثامن عشر ،إلى أن تستقل مصر عن الباب العالي مع عهد محمد علي باشا [3].

2- أما الحجاز والعراق واليمن :

فقد خلت هذه الولايات الكبيرة من التقسيمات الإدارية ،فكانت اليمن ولاية وكذلك الحجاز ثم أنشئت ولاية جديدة فيما بعد ؛هي ولاية جدة ،في حين حافظت الدولة العثمانية على الأوضاع التاريخية القديمة والعائلات الحاكمة ؛ولاسيما في

---

[2] نقلا عن : يوجين روجان :المصدر السابق ، ص 39 .
[3] يوجين روجان :المصدر نفسه ، ص ص 39-40 .
[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 56 .
[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص ص 20-21 .
[3] أندريه رايمون :المرجع السابق ، ص ص 30-31 .

شمال العراق ،كما اعترفت بشيوخ العشائر البدوية أمراء على عشائرهم ،فكانوا يتمتعون بقسط كبير من الاستقلال .فتمتع شريف مكة والإمام الزيدي في اليمن ،باستقلال ذاتي وبصلاحيات واسعة ،وبخاصة شريف مكة الذي كانت رتبته مساوية لرتبة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)[4].أما العراق فقد كان يشمل أربع ولايات وهي :البصرة وبغداد والموصل ، وشهريزور في المناطق الكردية [5].وقد اقتصرت واجبات الدولة على تنظيم استثمار الثروة ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لزيادتها وحمايتها ،باعتبار أنها تعود إلى السلطان العثماني ،ثم حفظ النظام وحماية الدولة من الخطر الخارجي بواسطة الجيش[6].

ومما سبق يمكن القول أن الحكم العثماني في مصر والحجاز والعراق كان إلى حد ما ذاتيا ،كما تميز بحكم الأسر والمشايخ والأشراف ،الذين تركهم العثمانيين في مناصبهم ،بسبب خصوصية المنطقة .

المحاضرة الثانية عشر : طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي (تابع) :

الإشكالية :

التنظيم الإداري العثماني في المشرق العربي:

اعتمد العثمانيون في حكمهم للبلاد العربية على نظام إداري دقيق ،وقد تكون هذا النظام من ثلاثة عناصر أساسية وهي :الوالي والجيش والقضاء .لقد كان عدد الولايات العثمانية تسعة وثلاثون ولاية ؛منها اثنا عشر ولاية عربية ،وانقسمت الولاية إلى سناجق وألوية ،واللواء إلى أقضية ،والقضاء إلى نواحي .والحاكم الأعلى في كل ولاية هو الباشا (والي) ،وفي كل لواء متصرف ،وفي القضاء قائم مقام ،وفي كل ناحية مدير ناحية .وقد كان التقسيم الإداري كالتالي[1]:

1- الوالي :لقب الوالي في بلاد المشرق بالباشا ،وكان يعين لمدة عام قابلة للتجديد ،وهذا ما أدى بالولاة على أن يحرصوا على جمع الأموال في هذه الفترة القصيرة ،ويجمع الوالي بين السلطتين المدنية والعسكرية ،كما يتولى جمع الضرائب والرسوم في ولايته ،ويساعده مجموعة من الموظفين ،ويعتبر رئيسا للسلطة التنفيذية ،مع حق ممارسة الإشراف المطلق على الشؤون الإدارية والإقطاعية ،بالإضافة إلى بعض الصلاحيات القضائية والعسكرية .وكانت مهمة الوالي ضمان استمرار ولاء الولاية للسلطان ،وتأمين الأمن والعدل للمواطنين ،وهناك نقباء الأشراف في عواصم الولايات والمدن العربية ،كما تركت إدارة العشائر لشيوخها .

---

[4] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 55 .

[5] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص34 .

[6] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 55 .

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص ص 57-58 .

2- الديون :كان في كل ولاية ديوانها الرئيسي ،يتبع الوالي ويجتمع برئاسته لبحث شؤون ولايته ،ويتكون من :الدفتردار ،والقاضي ،ونقيب الأشراف ،ونقبيب التجار (الشهبندر) .يرسل مذكرة سنوية لإسطنبول .

3- الإدارة المالية :تتكون الإدارة المالية في البلاد العربية من عدة دواوين أبرزها :

أ- ديوان الدفتري :هو المسؤول عن أموال الولاية أمام الباب العالي ،يرأسه الدفتردار ،شغله في مصر والعراق أحد كبار المماليك ،في حين أن صاحبه في بلاد الشام كان مرتبط باستانبول ،وكان الدفتردار عضوا بارزا في ديوان المالية ،مهمته تحصيل الضرائب وتأمين إرسالها للسلطان .

ب- ديوان الرزنامة :هو ديوان اليومية ،وصاحبه هو الروزنامجي ،يشرف على حسابات الأموال الإقطاعية ،وجمع الأموال الأميرية ،وصرفها في وجوهها المختلفة ،يساعده مجموعة من الموظفين .وقد

انقسم هذا الديوان في مصر مثلا إلى مجموعة من الأقسام وهي :

- **قلم باش خليفة :**يقيد إيرادات مصر ومصاريفها ودفتر أحوال الألوية .
- **قلم أفندي الشرقية :**يسجل التزامات الألوية الشرقية .
- **قلم أفندي الغربية :**يسجل التزامات الألوية الغربية .
- **قلم أفندي الشهر :**يسجل التزامات الألوية في الوجه القبلي .
- **قلم أفندي المحاسبة :**يسجل قيود الضرائب على السكر والأرز وما تنفقه الدولة على العمارات الصغيرة ،والحج ،ومخصصات شريف مكة وأهالي الحرمين .
- **قلم أفندية الموجقات السبع :**يسجل حسابات القوات العسكرية ،يبقي الروزنامجي سجله سرا في خزانة لا يطلع عليه أحد [1] .

4- القضاء والتشريع :

كان السلطان العثماني يعين قاضي عسكر أفندي قاضيا للقضاة ،ويختار هذا بدوره قضاة ينوبون عنه في الولايات ،فقد كانت الحكومة المركزية في استانبول ترسل قاضي قضاة لكل عاصمة إقليمية ،ليشرف على المحاكم الإسلامية .ومع أن المسيحيين واليهود تمتعوا بحق تسوية خلافاتهم في المحاكم الدينية الخاصة بهم ،فقد اختار الكثير منهم اللجوء إلى المحاكم الإسلامية ؛لإقامة الدعاوي وتسجيل الصفقات .وبالإضافة إلى النظر في القضايا الجنائية ،كانت المحاكم تقوم بالتحكيم بين الأطراف المتنازعة ،وتقوم بدور الموثق العام أو الشهر العقاري ،إذ تسجل العقود التجارية ،وعقود تبادل الأراضي ،إضافة إلى التغيرات الأساسية التي تطرأ

---

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص ص 57-58 .

على حياة الأفراد ؛كالزواج والطلاق ،وتسجل معاشات الأرامل واليتامى ،وبيانات توزيع تركات المتوفين[2].

وكان القضاة على المذهب الحنفي ،الذي كان مذهب الدولة الرسمي ،ولكن الدولة أحدثت مناصب قضائية محلية ،بموجب المذاهب الأخرى كالشافعية في دمشق والموصل ،والمالكية في مناطق أخرى ،وقضاة دروز في جبل لبنان ونصارى[3].وإن كان للوالي سلطات قضائية واسعة ،فإن هناك قاضيا مستقلا عنه يمكنه تصديق التقارير ،التي تشكو الوالي ،وإرسال مذكرات الاحتجاج عليه رأسا إلى العاصمة ،وقد تؤدي هذه التقارير إلى عزل الوالي [1].

5- القوات العسكرية :

في كل ولاية توجد جماعة من الانكشارية وسائر الجيوش ،كحامية دائمة .وتقسم هذه الجيوش إلى أوجاقات يرأسها ضابطها ،وأعوانها ،وسلطة الوالي عليها محدودة ،وترتبط بقائدها الأعلى في إسطنبول .وفي الولايات حاميات بعض القلاع كقلعتي دمشق وحلب ،وتتشكل من جنود خاصة تابعة للسلطان ،وضابطها يعينه الباب العالي[2].اما النوع الثاني فهو جند ولاة أو الحكومة المحلية ،الذين يتم تجنيدهم من داخل الولاية ،ويرتبطون بالوالي الذي كان يقدم لهم أجرا معينا ،وتألف الجيش النظامي الانكشاري من عدد تراوح بين 165و195 أرطلة عاملة ،و59 أرطلة احتياط . وتألفت كل أرطلة من مائة جندي برئاسة قائد يدعى الشوربجي[3].

لقد أسندت توطيد مهمة الأمن ،والمحافظة على النظام في الولايات العربية إلى عدد معين الميليشيات التي كان عدد ممثليها متفاوتا في المدن المختلفة .ففي القاهرة كانت هناك ممثلو سبع أوجاقات في مقدمتها الانكشارية التي تكونت منذ فتح مصر ،لقد كانت الانكشارية هي القوة الرئيسية الأكثر أهمية ،والمنتشرة على نطاق واسع ،وفي كل مكان من في ولايات الإمبراطورية ،حيث كانت القوة الرئيسية ،التي يستخدمها الباشوات لأغراض الحكم .وتنقسم الانكشارية إلى فرق ،وتضم كل فرقة عددا ثابتا تقريبا يقيم في كل عاصمة ولاية عربية .ففي القاهرة بلغ عدد الانكشارية حوالي 6 ألاف فرد ،وفي الموصل كانت توجد ثلاث وحدات (أرطلة) من الانكشارية ،ثم أضيفت وحدتين فاصبح عدد الانكشارية ألف رجل ،وفي دمشق لم يزد عدد الانكشارية عن ألف رجل ،أما في القدس فقد كان عدد الجنود النظاميين 300 جندي ؛من بينهم 100 انكشاري[4].

---

[2] يوجين روجان :المرصدر السابق ، ص ص 39-40 .
[3] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 59 .
[1] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص 22 .
[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع نفسه ، ص 22 .
[3] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 61 .
[4] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 56 .

ومما سبق يمكن القول أن الدولة العثمانية طبقت في البلاد العربية نفس التنظيمات الإدارية ، التي كانت تطبق في السلطنة نفسها ،وقد ساعدت تلك التنظيمات الإدارية على حفظ الأمن ، ومعالجة قضايا السكان في بلاد المشرق العربي ،خاصة خلال المرحلة الأولى من العهد العثماني .

المحاضرة الثالثة عشر : الأوضاع الاقتصادية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني :

الإشكالية : كيف كانت الوضعية الاقتصادية في المشرق العربي خلال العهد العثماني ؟وماهي التغيرات التي أفرزها الوجود العثماني في المنطقة ؟ .

1- النظام الضريبي :

جعلت الفتوحات العثمانية للأقطار العربية بين سنتي 1516م و1517م العثمانيين ،يعتمدون على نظام الالتزامات في جباية الضرائب على المحاصيل الزراعية ،والالتزام يعني أن الدولة كانت تبيع حق جباية الضرائب في مقاطعة معينة ،وكان هذا الحق يباع في مزاد يقام في مكان وزمان محددين وللشخص ،الذي يدفع أكثر ،ومن ثم يصبح هذا الشخص مخولا بتحصيل الضريبة العينية ،التي تقدر قيمتها الدولة على محصول هذه الأرض أو تلك ،وكان الملتزم يحتفظ بمردود الأرض بنفسه ،بعد تسديد ما يتعين عليه من نفقات وأجور[1].

أما النظام الضريبي في سوريا فقد كان متطابقا مع المنطلقات السياسية السابقة الذكر ،فالباشا يلتزم بتقديم إتاوة معينة مفروضة على البشاليك ،وفي المقابل توضع تحت تصرفه كل المداخيل ،التي ينفق منها على جيشه وحاشيته .وكل سنجق من السناجق التابع له كان ملزما بدوره ،بدفع كمية من المال تتناسب مع إمكانياته ،أو مع تأثير الباشا على سكان هذا السنجق ،وحكامه المحليين .والإتاوة المفروضة على البشاليك ،والمرفوعة إلى الباب العالي كانت إجمالا ثابتة لا تتغير ،إلا أن كمية الأموال المحصلة من البشاليك بواسطة الباشوات ؛كانت متغيرة حسب الظروف ،وحسب قوة أو ضعف الباشا والأمراء المحليين .وبذلك تبقى إدارة الباشا التي لا يحدها القانون ،بديلا عن كل فرمانات الضرائب والجباية [2].

2- الزراعة :

اتصف الاقتصاد في البلاد العربية خلال العهد العثماني بالكفاف ،فقد تأخر الإنتاج الزراعي بسبب استخدام الفلاحين الأساليب القديمة في الزراعة ،كما هجر

---

[1] دونالد كواترت :المصدر السابق ، ص 76 .

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص ص 29-30 .

قسم كبير منهم مزارعهم لسوء نظام الالتزام ،في جمع الضرائب ،إضافة إلى توزيع قسم كبير من الأراضي الزراعية على أمراء السناجق وكبار الموظفين والجنود ،وتحويلها إلى إقطاعات عسكرية [1].

لقد كان الفلاحون يملكون نسبة ضئيلة من الأراضي الزراعية ،وكان على صاحب الأرض أن يدفع ضريبة العشر ،أو الخراج الذي يصل أحيانا إلى نصف الغلة .لقد أدى نظام الالتزام إلى تدهور الريف وهجرة الفلاحين إلى المدن ،فرارا من قسوة الملتزمين ،فتدهورت الزراعة وعم الاضطراب في البلاد العربية [2].

في حين مارس غالبية سكان البادية المحيطة بمدينة جدة مهنة الرعي ،كالبدو والمنتمين لقبائل حرب وهذيل ،وعتيبة وجهينة .ومنهم من اشتغل بالزراعة مثل سكان وادي فاطمة ،والطائف وخليص ،ولكن معظمهم مارس مهنة التجارة ؛بحكم موقع هذه المدينة التجاري [3].

3- الصناعة :

كانت هناك صناعات حرفية تعتمد بالدرجة الأولى على العمل اليدوي ،وكان الحرفيون منظمين في طوائف ،ويرأس كل طائفة رئيس هو الشيخ ،ويليه في المنصب المعلم ،ثم الصانع ،فالتلميذ ،ولكل طائفة تقاليدها ،وعاداتها الخاصة بها .وكانت مدن دمشق ،وحلب ،وبغداد ،والموصل من أكبر مراكز الصناعة الحرفية في صناعة الأقمشة ،والسجاد ،والأسلحة ،والمصنوعات النحاسية ،وكان الكثير من هذه المصنوعات تصدر إلى أوربا [4].

لقد كانت نسبة الصناع قليلة مقارنة بعدد السكان ،ففي الوقت الذي بقيت فيه الصناعة على حالها في البلاد العربية ،تتم في معامل يدوية ،أخذت أوربا في تطوير الصناعة ،مما أدى إلى تأخرها وقلة إنتاجها ،وضعف مردودها الاقتصادي ،فضلا عن كثرة الضرائب المتنوعة التي كانت تفرض على الصناع ،وهذا ما أدى إلى تفتت الصناعة في البلاد العربية وتدهورها [5].

4- التجارة :

لم يكن أهل حلب يعرفون أن الفتح العثماني ،سيأتي لمدينتهم بعصر ذهبي يمتد حتى القرن الثامن عشر ،تصبح فيه المدينة واحدة من أهم مراكز التجارة البرية بين آسيا ودول البحر المتوسط .ومع أن حلب تقع على بعد ما يقرب من خمسين

---

(1) محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص38 .

(2) جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 65 .

(3) عبد الجليل التميمي :**الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني** ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ،زغوان 1988 ،ص ص 103-110 .

(4) جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 66 .

(5) جميل بيضون وآخرون :المرجع ،نفسه .

ميلا من الساحل ،فقد جذبت مكاتب الشركات الهولندية، والبريطانية ،والفرنسية التي تعمل في الشرق ،وأصبحت من أكثر مدن العالم العربي عالمية [1].

وقد أدى الفتح العثماني إلى دمج البلاد العربية في كل موحد شاسع ؛يقع بين المغرب الأقصى وايران وبراري روسيا ،والحبشة ،وصنع سوقا داخلية واسعة ،جرى فيها تبادل منتجات وسلع متنوعة في أقاليم مختلفة ،ونشطت الاتصالات ،ونمت المدن العربية الكبرى ؛الواقعة على النقاط المحورية للتجارة الدولية الكبيرة (الموصل – حلب – القاهرة)[2].

لقد كانت منتجات البن والتوابل والمنسوجات الشرقية ،تصل إلى القاهرة وحلب ،والمنتجات الواردة من وسط أفريقيا والمنسوجات ،التي تصنع في سوريا ومصر ،والمواد الجلدية ،والصوفية ،والزيت والخشب .ورغم اكتشاف الأوربيين للطريق المباشر مع الهند ،إلا أن القاهرة ظلت مركزا للتجارة .وكان يمر عبر القاهرة 100 ألف قنطار بين واردة من اليمن ،لكي تباع في باقي أنحاء الإمبراطورية ،أو يعاد تصديرها إلى أوربا ،وكان هو البلد الوحيد المنتج للبن في القرن الثامن عشر ،وجموع صادراته 200 ألف قنطار ،واستفادت حلب كثيرا من ترحيل حدود الدولة ،التي تنتمي إليها اتجاه الشرق ؛إذ أصبحت حلب مركز لنقطة واسعة ،تمر عبرها طرق التجارة الدولية الكبيرة ،وصارت نقطة عبور إجبارية للبضائع الفاخرة القادمة من الخليج والهند[3].

ولعبت سوريا ومصر دورا مهما في اقتصاد إسطنبول والإمبراطورية العثمانية ،فمن مصر كانت ترسل المنتوجات الغذائية كالرز والقمح ،والشعير ،والتوابل ،والسكر إلى البلاط السلطاني ،بينما كانت سوريا ترسل خلال القرن السادس عشر 50000 كيلو غرام من الصابون في السنة إلى البلاط العثماني. أما ذهب السودان فقد كان يصل إلى إسطنبول عبر مصر ،كما كانت خزينة الدولة تحصل سنويا على نصف مليون دوقية ذهبية من فائض الدخل في مصر .لقد كانت مصر وسوريا الغنيتان تمثلان المصدر الرئيسي لثروة السلطنة ،حتى أنهما كانتا في سنة 1528م توفران ثلث مصادر الدخل للإمبراطورية العثمانية [4].

فقد كانت السلع الغربية ترد إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط ،كالإسكندرية ،وطرابلس الشام كما كانت السلع الشرقية تقبل على موانئ الجزيرة العربية من عدن ،وجدة ،او البصرة ،لتنقل منها

---

[1] يوجين روجان :المصدر السابق ، ص 35 .

[2] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص 30 .

[3] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 37 .

[4] خليل إينالجيك :المصدر السابق ، ص 199 .

إلى أماكن المبادلة في البلدان التجارية الداخلية كالقاهرة ،ومكة ،ودمشق ،وحلب ،وبورصة واستانبول[1].

ومما سبق يمكن القول أن الوضع الاقتصادي في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني ، ارتبط ارتباطا وثيقا بالوضع السياسي ،وأن العثمانيين لم يجددوا كثيرا في الأساليب الاقتصادية ،بل حافظوا على تلك التي ورثوها عن المماليك ،لكنهم أدخلوا أنواعا وأساليب جديدة فيما يخص طبيعة الضرائب المفروضة على الفلاحين والصناع .لذلك ظل الاقتصادي العربي محافظا على الأساليب التقليدية القديمة ،ولم يواكب مختلف التطورات التي عرفتها أوربا في الفترة ذاتها ،أما بالنسبة للتجارة فإنها شهدت انتعاشا ملحوظا ،وحافظت بلاد المشرق العربي على مكانتها التجارية ،على الرغم من تغير الطرق التجارية ،بعد اكتشاف الأوربيين لطريق رأس الرجاء الصالح ،وهذا يعود ربما لحالة الأمن والاستقرار التي وفرتها الحماية العثمانية .

المحاضرة الرابعة عشر : الأوضاع الاجتماعية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني :

الإشكالية : كيف كانت حالة المجتمع العربي خلال العهد العثماني ؟وماهي السيمات التي نتجت عن الفتح العثماني لمنطقة المشرق العربي ؟.

1- التنوع السكاني في البلاد العربية خلال العهد العثماني :

[1] خليل ساحلي أوغلى:**من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين** ،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،استانبول 2000 ،ص 184 .

لم تكن الدولة العثمانية تعترف بالتفرقة العنصرية ،بعد تلاشي التميز بين العرب وبين معتنقي الإسلام من غير العرب ،إلا أن هناك بعض التمييز في وظائف اللغات ،فقد كانت اللغة التركية لغة الحكومة والجيش ،واللغة العربية لغة الدراسة والشريعة ،وكان دور العرب الخاص معترفا به إلى حد ما . فكان الأشراف المنحدرون من سلالة النبي ،يشكلون هيئة مستقلة تتمتع بامتيازات مالية وشرعية ، وكانوا منتظمين في كل ولاية تحت قيادة النقيب ،وكان نقيب القسطنطينية يعتبر من أكابر السلطنة العثمانية [1].

وقد ساهم العهد العثماني في تنوع سكان البلاد العربية ،فقد ساعد اتساع الإمبراطورية العثمانية وتنوعها ،وسهولة الانتقال النسبي من منطقة إلى أخرى ،على ترحال الأفراد بأعداد كبيرة ،والذين تحركهم بواعث متعددة ؛كالسعي إلى الربح عن طريق التجارة ،أو الرغبة في المعرفة والثقافة ،أو في إتمام التزام ديني كالحج .وكانت هذه البواعث تدفع هؤلاء الأفراد إلى الإقامة فترة طويلة إلى حد ما ،بل وأحيانا إلى الإقامة النهائية في ولاية أخرى .فقد استقرت في مصر جاليات كبيرة من المغاربة والسوريين والأتراك ،الذين وصل عددهم إلى 25 ألف نسمة .وقد لعب هؤلاء الأجانب دورا كبيرا في الأنشطة الاقتصادية في المدن العربية خاصة التجارة [2].

2- التسامح العرقي والمذهبي خلال العهد العثماني:

كما أدى التسامح العثماني تجاه الأقليات ،ومنحها استقلالا كبيرا في إدارة شؤونها الداخلية ،إلى ازدهار الجماعات اليهودية في جميع المدن العربية الكبيرة تقريبا ،وازدهار الجماعات المسيحية في مدن المشرق العربي .كما جاءت أيضا مجموعات من المسيحيين اليونانيين والأرمن للإقامة في غالبية المدن الكبيرة في المشرق العربي ،حيث لعبوا دورا هاما في عدد من الأنشطة الحرفية إلى حد احتكار بعضها. كبائعي الفراء ،وناسجي الحرير من اليونانيين ،والساعاتية الأرمن .يضاف إلى ذلك الجالية التركية الكبيرة في البلاد العربية والمقيمة بصفة نهائية ،والتي أدت إلى تكوين جاليات جديدة نتجت عن زواج هؤلاء الأتراك المقيمين من مواطنات من أهالي البلاد العربية [1].

لقد تميز سكان المدن في البلاد العربية خلال العهد العثماني بالتنوع الشديد ،فقد كانت تضم عناصر عرقية ودينية مختلفة ،ومن جهة أخرى انقسم المجتمع إلى طبقتين :الطبقة الحاكمة للسلطة المنتمية إلى الأتراك ،وطبقة الرعايا وهم الأهالي من البلاد العربية ،لكن الانتماء المشترك للإسلام للطبقتين خلق نوعا من الانسجام والتضامن بين الطبقتين [2].

---

[1] علي عبد المنعم شعيب :المرجع السابق ، ص 31 .

[2] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 40 .

[1] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 41 .

[2] أندري رايمون :المرجع نفسه ، ص 55 .

ومن جهة أخرى فقد عملت الدولة العثمانية على التوفيق بين مختلف الفئات الاجتماعية والسكانية ،سواء أكانت هذه الفئات من الزعماء المحليين ،أو الحاميات الانكشارية ،أو القبائل البدوية .وقد لجأ الولاة إلى عدة وسائل لتحقيق هذا الغرض ،ومن هذه الوسائل محاولة توحيد القضاء الشرعي .فقد كانت الدولة العثمانية تعترف بالمذاهب الفقهية الأربعة ،علما بانها من الوجهة الرسمية تتبع المذهب الحنفي .ورغم ذلك نجد ولايات عربية تتبع مذاهب أخرى كعلماء دمشق الذين كان معظمهم على المذهب الشافعي[3].

3- مكونات المجتمع خلال العهد العثماني (مصر نموذجا) :

كان المجتمع في البلاد العربية خلال العهد العثماني ،مقسما إلى عدد من الطبقات ،ويمكن أن نأخذ الوضعية الاجتماعية في مصر ،ونقيس عليها باقي مناطق المشرق العربي خلال العهد العثماني فنجد المجتمع يتكون من الطبقات التالية [4]:

1- الطبقة الحاكمة :على رأسها الباشا أو الوالي العثماني ،ثم يليه القاضي .وهي أقلية أرستقراطية تتكون من الأتراك والمماليك .

2- فئة التجار :شهدت مصر خلال العهد العثماني ،تكاثرا كبيرا في عدد الأسواق ،والسويقات ، بسبب ازدهار التجارة ،لذلك زاد عدد التجار وظهرت فئة أعيان التجار ،واشتهرت أسر تجارية .

3- العلماء وطلبة الأزهر :كانت السلطات العثمانية والمملوكية تعترف لرجال الأزهر بمكانتهم ودورهم في المجتمع .

4- السلطات الوسيطة :تتكون من رجال الدين والعلماء والمشايخ .،تمثل الهيئات المدنية التي تربط بين الحاكم الشرعي والرعية .

5- أهل الذمة :من يهود ونصارى ،قامت بينهم وبين المسلمين علاقات قائمة على أسس العدالة وفق الشريعة الإسلامية .وكانوا يمثلون شريحة هامة لها دورها التجارية .

6- الأشراف والسادات :ينتمون إلى الحسن والحسين ،وكانت لهم مكانة دينية في مصر ولهم أوقاف كثيرة موقوفة لهم ،ويحظوا بمكانة لدى السلطات الحاكمة والمجتمع المصري .

7- العبيد :وكانت هذه الظاهرة منتشرة كثيرا في مصر ،وهم نوعان :رقيق بيض كانوا يشترون من كردستان وجورجيا ،ورقيق سود يجلبون من دارفور .

8- العربان أو البدو :الذين استقروا في القاهرة ،وحافظوا على نمط حياتهم المتمثل في البداوة .

---

[3] دونالد كوارترت :المصدر السابق ، ص 196 .

[4] عبد الجليل التميمي :المرجع السابق ، ص ص 477-500 .

9- الأجانب :من تجار وقناصل ،يتعاملون مع المصريين في مجالات التصدير والاستيراد ،من إيطاليين ،وجنويين ،وبنادقة ،وأرمن امتدادا لما كان في العهد المملوكي[1].

ومما سبق يمكن القول أن العثمانيين حافظوا على الموروث المملوكي ،الذي وجدوه قبلهم ولكنهم أضافوا إلى المجتمع العربي في بلاد المشرق ،مكونات جديدة ساهمت في إثرائه وتنويعه .وذلك نظرا للتسامح الذي تميز بع العثمانيون في تعاملهم مع مختلف الفئات الاجتماعية ،سواء المحلية منها أو الأجانب ،أو حتى مع غير المسلمين .

المحاضرة الخامسة عشر : الأوضاع الفكرية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني :

الإشكالية : بماذا تميزت الوضعية الثقافية والفكرية خلال العهد العثماني في بلاد المشرق العربي ؟وهل أثر العثمانيون على الجانب الثقافي والفكري للمنطقة خلال تواجدهم فيها ؟.

1- وضعية التعليم :

اعتمدت الحياة الثقافية والفكرية على الشريعة الإسلامية خلال العهد العثماني ،التي نظمت أحوال الناس الحياتية ،إلا أن العلماء عاشوا حياة انطوائية مستقلة عن الإبداع والتفكير ،فجمد البحث .وكان التعليم يقوم في المساجد والمدارس في المدن ،ويكاد يقتصر على تعلم القرآن ،والحساب ولم يعط الفرصة الكافية لأبناء الشعب للتعليم ،مما أدى إلى انتشار الجهل والأمية .ورغم ذلك فقد كانت هناك منارات علمية في العلوم الشرعية ،التي كانت تؤهل العلماء وتحافظ على التراث الإسلامي ؛كالجامع الأزهر في القاهرة[1] .

ومن جهة أخرى فإن ما يعاب على العثمانيين إهمالهم للغة العربية ،والتي هي لغة القرآن والحديث الشريف ،وكان يجب الاهتمام بها الاهتمام البالغ ،فقد كان الاتجاه نحو اللغة التركية اكثر منه إلى اللغة العربية ،بسبب أن السلاطين والحكام العثمانيين يجيدون التركية وهم من أبنائها ،وصحيح أن بعض السلاطين سعوا

---

[1] للاطلاع على وضع الجاليات الأجنبية في بلاد الشام خلال العهد العثماني ،ينظر :ليلى الصباغ :**الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)** ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،بيروت 1989 .

[1] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 52 .

،وعملوا على إقامة المدارس باللغة العربية ،واهتموا بالعلم الشرعي ؛إلا أن ذلك كان دون المستوى المطلوب ،وأقل مما يجب أن يكون بكثير ،وكان على الحكام أن يتعلموا هم العربية ويشجعوا عليها .ومع عدم تعلم اللغة قل الفهم الصحيح ،وساد الجهل وخاصة في الأمصار التي تتكلم اللغة العربية (أي البلاد العربية) ،وأثر هذا على الضعف والتأخر العلمي[2].

2- فئة العلماء :

كان العلماء الذين يتولون الوظائف الدينية والثقافية ،ينتمون عادة إلى السكان الرعايا أي الأهالي من البلاد العربية ،فقد كانوا ممثلين إلى حد ما لسكان الحضر ،ولكن أنشطتهم ورعاية الطبقة الحاكمة لهم ،جعلتهم في مركز وسيط بين الحكام والرعية ،ومن ناحية أخرى فإن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة بين الأهالي ،والتي أفرزت فئات اجتماعية مختلفة ،جعلت العلماء يتخذون مواقف متنوعة للغاية ،فيما يتعلق بدورهم في المجتمع ،وعلاقاتهم مع الطبقة الحاكمة [1].

ويندرج ضمن هذه الفئة من أعضاء المحاكم ،والمؤسسات الدينية ،والتعليمية ؛من جوامع ومدارس ،ومساجد ،إضافة إلى طلبة الجوامع ،والمدارس الكبيرة .وتتوقف موارد هذه الفئة على الدخول التي يوزعها المؤسسات الدينية والخيرية (الأوقاف والحبوس) ،بالإضافة إلى رعاية الدولة .وقد كان العلماء يمثلون الوساطة بين السلطة والرعية ،التي يرعون مصالحها ويدافعون عن حقوقها[2].

3- التنوع اللغوي للمجتمع:

عرفت حواضر الخلافة العثمانية التنوع الاثني والمذهبي ،الشيء الذي انعكس على المجتمعات العربية ثقافيا ،وطبعه بسمات وأنساق حضارية نادرة الحدوث[3].فمنذ أن ضم العثمانيون بلاد المشرق العربي ،فإنهم استعملوا الثقافة العربية الإسلامية ،باعتبارهم مسلمين فجعلوا الحرف العربي الأساس في كتاباتهم ،واتخذوا العلوم الشرعية في الإسلام الأساس ،الذي سارت عليه الدولة العثمانية ،فكانت الخلافة الإسلامية ،وما تقتضيه من الارتباط بالدين والمتمثل به [4].

4- انتشار التصوف :

بقيت ظاهرة التصوف ،والاهتمام بأمور الدين مهمة منذ العهد المملوكي ،في المجتمع العربي بسبب سيادة المذهب السني في البلاد العربية ،وقد تمتع العلماء

---

[2] محمود شاكر :**التاريخ الإسلامي –العهد العثماني-** ،المكتب الإسلامي ،ط4 ،بيروت ،دمشق ،عمان 2000 ، ص 34 .

[1] أندري رايمون :المرجع السابق ، ص 62 .

[2] أندري رايمون :المرجع نفسه ، ص ص 62-66 .

[3] درقاوي منصور : **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10ه-13ه و16م-19م بين التأثير والتأثر** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف الدكتور :فغرور دحو ،كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ،جامعة أحمد بن بلة بوهران ،الجزائر 2014-2015: ص 83 .

[4] جميل بيضون وآخرون :المرجع السابق ، ص 52 .

بمكانة مهمة ؛لتوليهم أمور القضاء والإفتاء علما ا نامور الاجتهاد في الدين قد توقفت ،فاعتمد العلماء على النقل ولاقتباس ،والشرح لمتن قديم [5].لقد كان من مظاهر ضعف الحياة الفكرية خلال العهد العثماني ؛انتشار الطرق الصوفية وقد انحط التصوف من فلسفة إلى دروشة .وقد أدى هذا الضعف إلى ظهور الحركات الإصلاحية

الإسلامية لإعادة الإسلام إلى مصادره الصحيحة [1].

ومما سبق يمكن القول أن الأوضاع الفكرية ،والثقافية في بلاد المشرق العربي خلال العهد العثماني لم تكن أحسن حالا من باقي الأوضاع ،فقد تميزت هي بدورها بالتدهور على الرغم من أن العثمانيين لم يتدخلوا بشكل مباشر في البلاد العربية ،وقد غلب عليها التعليم الديني والشرعي ،أما باقي العلوم فقد كانت متأخرة عن مثيلاتها في أوربا .

---

[5] للاطلاع أكثر على الأوضاع الثقافية والعلمية خلال العهد المملوكي ينظر: أمال رمضان عبد الحميد :**الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي 648ه-923ه/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف الدكتور :عبد الله سعيد الغامدي ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 2011 .و خالد محسن حسان الجابري :**الحياة العلمية في الحجاز في العصر المملوكي 648ه-923ه/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية ،إشراف الدكتور :مريزن سعيد مريزن عسيري ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 1993 .

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب :المرجع السابق ،ص39 .

الخاتمة :

وبعد دراستي لمختلف المحاور التي تضمنها مقياس الدولة العثمانية والمشرق العربي ،استخلصت مجموعة من النتائج وهي كالتالي :

1- عندما أقام العثمانيون دولتهم في الأناضول ،واعتنقوا الدين الإسلامي حملوا لواء الجهاد ،وتبنوا سياسة الفتوحات باتجاه أوربا ومنطقة البلقان .

2- لم يكن للعثمانيين نية في التوسع باتجاه الشرق ،لكنهم غيروا سياستهم نتيجة لعدة عوامل منها التهديد الشيعي الصفوي ،والتهديد المسيحي البرتغالي للاماكن الإسلامية المقدسة ،نتيجة لعدم قدرة دولة المماليك على صده .

3- لم يجد العثمانيون صعوبة في ضم بلاد المشرق العربي ،نتيجة لسخط الشعوب على المماليك من جهة ،ونتيجة لضعف قوة المماليك من جهة أخرى ،وقوة الجيش العثماني .

4- رحب الأهالي في بلاد الشام ومصر بالعثمانيين ،بسبب سخطهم على المماليك .أما في الحجاز فقد اعلن شريف مكة ولاءه للعثمانيين ،في حين تم إخضاع العراق واليمن بالقوة .

5- حافظ العثمانيون على التنظيمات الإدارية ،التي تركها المماليك قبلهم في بلاد المشرق العربي ، وأضافوا عليها بعض التعديلات بما يتماشى وطبيعة الوجود العثماني في المنطقة .

6- لم تتغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المشرق العربي خلال العهد العثماني إلى حد كبير ،فقد بقيت تقريبا على حالها .لأن العثمانيين لم يتدخلوا في الشؤون الداخلية للمناطق الخاضعة لهم ،بل اكتفوا بحماية السواحل والمنافذ البحرية .

بيبليوغرافيا المحاضرات :

1- المصادر المراجع :

1- أوزتونا يلماز :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :عدنان محمود سلمان ،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،استانبول تركيا 1988 .
2- أوغلو أوقاي ترياقي :**السلطان سليمان القانوني سيد العصر الرائع** ،ترجمة :عبد القادر عبد اللي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط1 ،أبوظبي 2013 .
3- أوغلى خليل ساحلي:**من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين** ،مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ،استانبول 2000 .
4- اينالجيك خليل :**تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار** ،ترجمة :محمد م .الأرناؤوط ،دار المدار الإسلامي ،ط1 ،بنغازي ليبيا 2002 .
5- بازلي قسطنطين : **سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني** ،ترجمة :طارق معصراني ،دار التقدم ،موسكو 1989 .
6- بتروسيان إيرينا :**الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** ،تقديم ومراجعة قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ،ومعهد الدراسات الشرقية المجمع العلمي الروسي (فرع سان بطرسبرغ) ،دبي 2006 .
7- بيضون جميل وآخرون :**تاريخ العرب الحديث** ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،ط1 ،إربد ،الأردن 1991 .
8- التميمي عبد الجليل :**الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني** ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ،زغوان 1988 .
9- الحكيم يوسف :**سورية والعهد العثماني** ،ط4 ،دار النهار للنشر ،بيروت 1991 .
10- الخراشي سليمان بن صالح : **كيف سقطت الدولة العثمانية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،المملكة العربية السعودية 1420ه .
11- خير فارس محمد :**تاريخ الجزائر الحديث** ،مكتبة دار الشروق ،ط1 ،بيروت 1969 .
12- رئيسي إدريس الناصر: **العلاقات العثمانية-الأوروبية في القرن السادس عشر** ،دار الهادي ،ط1 ،بيروت لبنان 2007 .
13- رايمون أندريه :**المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** ،ترجمة :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1991 .
14- رفعت بك محمد :**التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط** ،ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي ،مصر 1949 .
15- روجان يوجين :**العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر** ،ترجمة :محمد إبراهيم الجندي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،ط1 ،جمهورية مصر العربية 2011 .

16- شاكر محمود :**التاريخ الإسلامي –العهد العثماني-** ،المكتب الإسلامي ،ط4 ،بيروت ،دمشق ،عمان 2000 .
17- شعيب علي عبد المنعم :**التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر** ،دار الفارابي ،ط1 ،بيروت ،لبنان 2005 .
18- الشناوي عبد العزيز محمد: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط1 ،القاهرة 1980 ،ج1 .
19- الشيخ رأفت غنيمي :**التاريخ المعاصر للامة العربية الإسلامية 1412-1992** ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة 1992 .
20- الصباغ ليلى :**الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)** ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،بيروت 1989 .
21- عودة محمد عبد الله و الخطيب إبراهيم ياسين : **تاريخ العرب الحديث** ،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن 1989 .
22- عمران محمود سعيد :**معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى** ،دار المعرفة الجامعية ،بيروت 1986 .
23- كواترت دونالد : **الدولة العثمانية 1700-1922** ،ت عريب :أيمن الأرمنازي ،مكتبة العبيكان ،ط1 ،الرياض المملكة العربية السعودية 2004 .
24- المحامي محمد فريد بك : **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار النفائس ،ط1 ،بيروت 1981 .
25- مسعد بولس :**الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون 1517-1916** ،دار الكتب المصرية ،ط1 ،مصر 1916 .
26- منتران روبير :**تاريخ الدولة العثمانية** ،ترجمة :بشير السباعي ،دار الفكر للدراسات للنشر والتوزيع ،ط1 ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 .
27- ياغي إسماعيل أحمد :**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ،مكتبة العبيكان ،الرياض المملكة العربية السعودية 1995 .

2- المقالات بالعربية :

1- الدغيم محمد السيد :**أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية** ،في **الحضارة الإسلامية وعالم البحار**،ندوة عقدها الاتحاد في القاهرة 6-8 نوفمبر 1993 ،منشورات اتحاد المؤرخين العرب ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية 1993 .
2- سعيود إبراهيم :**القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة ،القرصنة الإيطالية نموذجا** ،في مجلة **الواحات للبحوث والدراسات** ،العدد 11 ،المركز الجامعي غرداية ،الجزائر 2011 .

3- المعاجم والأطالس:

1- أبو خليل شوقي :**أطلس التاريخ العربي الإسلامي** ،دار الفكر ،ط12 ،دمشق سورية 2005 .
2- صابان سهيل :**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ،تحقيق :إحسان حقي ،دار القاسم ،ط1 ،الرياض 1421ه / 2000 .

4- الرسائل والمذكرات والأطاريح الجامعية :

1- بحري فائقة محمد حمزة عبد الصمد :**أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوربا** ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ،إشراف الأستاذ الدكتور :يوسف علي رابع الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 1989 .
2- الجابري خالد محسن حسان :**الحياة العلمية في الحجاز في العصر المملوكي 648ه-923ه/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية ،إشراف الدكتور :مريزن سعيد مريزن عسيري ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 1993 .
3- رمضان عبد الحميد أمال :**الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي 648ه-923ه/1250م-1517م** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف الدكتور : عبد الله سعيد الغامدي ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية 2011 .
4- قاري ياسر بن عبد العزيز محود : **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية** ،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف :يوسف بن علي الثقفي ،قسم الدراسات العليا التاريخية ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية 2001 .
5- منصور درقاوي : **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10ه-13ه و16م-19م بين التأثير والتأثر** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف الدكتور: فغرور دحو ،كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ،جامعة أحمد بن بلة بوهران ،الجزائر 2014-2015 .

فهرس المحتوى :

مقدمة .....ص 3
1- المحاضرة الأولى :ظهور الدولة العثمانية .....ص 4
2- المحاضرة الثانية :ظهور الدولة العثمانية (تابع) .....ص 8
3- المحاضرة الثالثة :أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العهد العثماني .....ص 11
4- المحاضرة الرابعة : أوضاع المشرق العربي قبيل الفتح العهد العثماني (تابع) .....ص 14
5- المحاضرة الخامسة :الفتح العثماني للمشرق العربي .....ص 17
6- المحاضرة السادسة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) .....ص 19
7- المحاضرة السابعة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) .....ص 21
8- المحاضرة الثامنة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) .....ص 24
9- المحاضرة التاسعة : الفتح العثماني للمشرق العربي (تابع) .....ص 27
10- المحاضرة العاشرة :طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي .....ص 30
11- المحاضرة الحادية عشر : طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي (تابع) .....ص 33
12- المحاضرة الثانية عشر : طبيعة الحكم العثماني في المشرق العربي (تابع) .....ص 34

13- المحاضرة الثالثة عشر :الأوضاع الاقتصادية في بلاد المشرق خلال العهد العثماني.....ص 38
14- المحاضرة الرابعة عشر : الأوضاع الاجتماعية في بلاد المشرق خلال العهد العثماني....ص 42
15- المحاضرة الخامسة عشر : الأوضاع الفكرية في بلاد المشرق خلال العهد العثماني.....ص 45
الخاتمة .....ص 48
البيبليوغرافيا .....ص 49
فهرس المحتوى .....ص 43